٤

هتلر

والقادة العرب في برلين

هنا برلين

حيّ العرب

بقلم

يونس بحري

اروع المذكرات السياسية والتاريخية في سلسلة شهرية

اهداءات ٢٠٠٢
أ.د/ محمد طه الحاجرى
الاسكندرية

هنا برلين

حي العرب

اروع المذكرات السياسية والتاريخية
يكتبها في سلسلة شهرية

يونس بحري

الصحفي والدبلوماسي والسائح وامام جامع باريس ومفتي اندونيسيا ، ومستشار ملك ليبيا ، ومذيع راديو برلين في الحرب العالمية الثانية وصاحب العرب " وحي العرب " الرجل الذي يتقن ١٦ لغة ، وعبد شضيعه حبيل طارية سباحة ، فائزة بالدرجة الاولى بسباحة دولي . زامل " غوبلز " وزير الدعاية الرايخ الثالث وتحدث الى موسوليني وهتلر وقام بجولة حول العالم على الاقدام باسم " السائح العراقي " والرجل الذي كان اول من قال " حي العرب " وقال من برلين " بلاد العرب للعرب "

الجزء الرابع

(الطبعة الثانية)

وكلاء التوزيع في دنيا العرب والعالم :
شركة فرج الله للمطبوعات

الفوهرر هتلر والقوادوليو فرانكو

في الاجتماع التاريخي بين هتلر زعيم الرايخ الثالث الالماني « النازي » والقوادوليو « زعيم الفالانج » الاسباني الجنرال فرانكو ، الذي تم في مدينة سربير على الحـــدود الفرنسية الاسبانية اثر القاء السلاح امام جيوش الرايخ الظافرة ، حاول هتلر ان يحمل زميله فرانكو على الدخول في الحرب « عبثا »

والصورة تمثل فرانكو يرحب بهتلر و بشد على يده بحرارة مصافحا . . .

وكان هذا الاجتماع هو الاول والاخير بين الزعيمين الاسباني والالماني.

على اثر انتصار المانيا على فرنسا القى هتلر خطابه التاريخي
في الرايخشتاغ — البرلمان

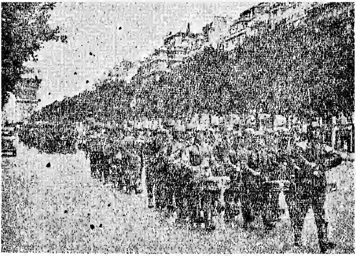

الجيش الالماني الهتلري يدخل باريس ظافرا من قوس النصر
ويجتاز الشانزليزي وهو يختال زهواً .

هتلر وماجدة غوبلز

كانت ماجدة زوجة الدكتور غوبلز وزير دعاية هتلر سيدة المانيا النازية الاولى ، وكانت صاحبة «الزعيم» قبل ان يتعرف هتلر على الآنسة ايفا براون بثلاثة اعوام ..

لقد كان هتلر يعتمد عليها اعتمادا تاما حتى انه يستشيرها في الشؤون السياسية ... وقد لعبت دوراً رئيسياً في توجيه علاقات هتلر بقادة النازية .. حتى انها كانت تختار له «عشيقاته» والصورة تمثل ماجدة غوبلز وهي تبتسم «للفوهرر» وهو ينظر اليها باعجاب ..

ايفا براون   ومارتن بورمان

كان الهر مارتن بورمان «نائب الزعيم» والامين العام للحزب النازي يصرح دائماً بأن « الاخلاص معناه انعدام الفرصة !! » حتى في علاقاته الغرامية !!

انني اذيع « سرا » اذا قلت ان نائب الزعيم كان « ينوب » عنه في معاشرة ايفا براون ، خلال الزيارات التي كان يقوم بها هتلر لمختلف ميادين القتال ..

هملر زعيم الغستابو

رجل النازية المخيف وسفاح اوروبا الاكبر في القرن العشرين. هاينريش هملر زعيم الغستابو « الامن العام » الذي كان يرعب حتى هتلر نفسه !!

غوبلز امام الميكروفون

لقد كان الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ «مذيعاً» من الرعيل الاول ... وكان اخطب زعيم نازي .

وهو القائل : ماين فوهرر : بيفلا اوند وير فولغن !!

اي : يازعيمي مر ، ونحن نتبعك !!

الانسة ايفا براون تستحم ...

كانت الانسة ايفا براون «صاحبة هتلر» .. من جماعة العراة وهي ترى في هذه الصورة النادرة «عارية..» ربي كما خلقتني ! ثم هل هي جميلة ؟ وهل كان هتلر على حق في حبه لها ؟ نترك الامر لذوق القارىء !!.

من ذكرياتي في المانيا

سيرو والقاهرة في برلين وفيينا ؟

كيف سجن المفتي رشيد عالي الكيلاني !!

الانشقاق في الحزب النازي ؟

في مساء العاشر من ايلول ١٩٣٩ تركت مكتبي في دار الاذاعة الالمانية وقد انتهيت من تسجيل الاذاعة الرابعة لذلك اليوم لتذاع على الساعة التاسعة بتوقيت المانيا . وهي الاذاعة الوحيدة التي كنت اسجلها سلفا لكي اتفرغ الى اعمال اخرى ! ترفه عني اتعاب عملنا الشاق . فاعداد منهج طويل لمدة سبع ساعات في اليوم الواحد من الامور الصعبة العسيرة التي يعرفهـا كل من يشتغل في الاذاعات ويشرف على اعداد المناهج .. فكل دقيقة يجب ان تملأ بما يثير مشاعر السامع ويكرهه على السماع !

اني من الذين لا يعتقدون بالقول المأثور : ساعة لربك وساعة لقلبك ! بل اعتقد بان الوقت فرص سانحة ... فمتى ما استطاع المرء ان يتقن عمله وينهيه كما هو مطلوب منه وزيادة مما عليه الا ان يشغل نفسه بما هو دون الارهاق ليتسنى للعامل المجد ان يستجم ، فيتهيأ للعمل من جديد في اليوم التالي .. فكان لا بد من الترفيه في ليالي برلين الملاح !! ولكن ضمن حدود معقولة وبلا اسراف في هذا الترفيه الذي استغله بعض شبابنا العرب قبل الحرب وفي

خلالها .. فلقد رأيت شابا ليبيا يموت وهو يحمل محاطـــا بأربع فتيات عاريات قبض عليهن البوليس .. الالماني وقد اعترفـــن بأنهن لم يفعلن شيئا لموت الفتى العربي الذي قتله الارهاق في — الترفيه — عن نفسه معهن !!

قصة الامير العربي

لقد اهلك الفتى العربي نفسه من شدة الارهاق والاجهاد ، حيث قضى مع الفتيات الاربع ثلاثة ايام بلياليهـا وهو واياهن عرايا — ربي كما خلقتني — وراح يأكل ويشرب ويطارحهـن الغرام بالتناوب الى ان نفدت قواه فاستنفد اغراضه .

عرفت هذا الشاب معرفة جيدة لانني اعطيته عملا في مكاتب اذاعتنا العربية ببرلين ، لقد وصل الشاب المانيا وهو يضع على رأسه عمامة التقى والورع .. كأي متخرج من الازهر الشريف يحمل شهادته العالمية الى جانب شهادة : لا اله الا الله !

ولكنني لما القيت عليه نظرتي الاولى وهو يقدم الي كتاب التوصية من امير البيان الامير شكيب ارسلان لمساعـدته ليتم دراسته في جامعة برلين . توسمت فيه الفحولة العـارمة من انفه الطويل الاقنى كأنف العقاب !! فأشرت عليه بان يضع العمامة جانبا ، فاما ان يسير حاسر الرأس كما افعل انا شخصيا ... واما ان يلبس البرنيطة. فالعمامة في برلين قد كانت ولا تزال مصيدة عظمى للنساء ، فلقد ارتسم في عقلية نساء المانيا بان كل معمم ، هو امير عربي !! فلقد كان الحاج عمر التازي من وزراء مراكش الاسبقين واثرياء المغرب العربي الكبار جداً يزور برلين في كل عام على رأس جيش من اتباعه وحاشيته وهم جميعـــاً يلبسون

« العمائم » على رؤوسهم .. فأظهروا العجائب مع سيدات برلين ... وخلفوا ذكريات رائعة مروعة في محافلها وفنادقها تحكيها الام لابنتها مع كثير من التأسف والحرقة على هاتيك السويعات العذاب مع الامراء العرب — الميمون — !..

طبيب الجامعة العربية

قبل ثلاثة اعوام نشرت مجلة المصور القاهرية حديثاً مصوراً للدكتور عبد المسيح جيد. وكان الدكتور يحمل عنوان «طبيب الجامعة العربية» اي دول الجامعة العربية !! وقد تضمن الحديث بان الدكتور اياه سيقيم الدعوى على حكومة المانيا الغربية باعتبارها وريثة لالمانيا الهتلرية .. وبانه سيطالبها بتعويض قدره ١٢٠ الف جنيه لان حكومة هتلر قد سجنته في عام ١٩٤٣ في برلين لاسباب سياسية !!

ان قصة الدكتور عبد المسيح جيد هذه ذكرتني بقصة الفتى العربي الليبي الذي قضى نحبه بسبب ارهاقه نفسه في معاشرة الغيد الحسان !!

ومن المؤكد ان سردقصة الدكتورجيدعلىقراء سلسلة كتب — هنا برلين ، حي العرب — فيها لذة وعبرة وتسلية !!

عرفت الدكتور عبد المسيح جيد في بغداد سنة ١٩٣٨ وهو مصري من اقباطها الاخيار .. تلقى علومه في جامعة برلين ونال منها شهادة الدكتوراه في الطب !! وكان يختال كالاسد المصور في بزة عقيد في الجيش العراقي !!

اسمر اللون بشعر جعد ، وجسم ممتلىء صحة وعافية ، شديد المرح ، سريع النكتة .. يضحك لها قبل ان يضحك السامع !

الدكتور والزعيم

ان صديقي الدكتور عبد المسيح جيد أريحي كريم ، وعلى استعداد لكي يصرف عليك ويمنحك كل ما تريد منه الا أشياء ثلاثة يعتز بها .. ولا يفرط فيها !! علبة دخان ذهبية مستطيلة تستوعب ٢٥ لفافة تبغ .. وساعة ذهبية مرصعة بالجواهر هدية اليه من « مولانا الملك الصـــالح السابق » فاروق !! ومسبحة فاخرة من الكهرب الاصفر الفاقع لونها تسر الناظرين .. وكان يسمي هذه الاقانيم الثلاثة : عدة النصب على النساء !!

لقد كان يحلو لي ان اجالس صديقي الدكتور جيد — ويقرأ الاسم جيماً مصرية من فضلك — فهو كصديقي العراقي السابق نقولا ثابت عبد النور حلو الحديث كثير الدعابة !!

فر الدكتور العقيد من الجيش العراقي بعد نكبة رشيد عالي الكيلاني التي مني بها العراق ، مع من فر الى برلين ! وهناك في برلين اعتمده — الزعيم — ليس هتلر بالطبع ! بل — الزعيم — رشيد عالي الكيلاني الذي اطلقت عليه لقب — الرئيس الشرعي لحكومة الثورة في المهجر — في اذاعاتي من برلين .. هكذا اغتباطاً وغروراً مني لا اقل ولا اكثر .. اجل اعتمده — الزعيم — ! رشيد عالي لايفاده الى هنغاريا ورومانيا وبلغاريا ليشتري — للزعيم — صابوناً معطراً !! فقط .. فرئيس الحكومة العراقية الشرعية كما زعمت انا شخصياً .. كان مولعاً بالصابون يغتسل به ويهديه الى رجال وزارة الخارجية الالمانية ليقوموا بتنفيذ طلبـاته الكثيرة واغراضه .. والصابون في المانيا كان مشكلة المشا كل !

عدة النصب !

عين العقيد الدكتور عبد المسيح جيد المصري الاصل العراقي

الوظيفة طبيباً في مستشفى الماني ببرلين.. وراح الطبيب الماهر يداوي الناس وهو عليل !!.

ان الدكتور جيد كما يحلو له ان يسميه الاصدقاء باسمه المجرد « جيد » فهو رجل متواضع مع الرجال ولكنه يتجبر على النساء تجبراً . فرعونياً – كثيراً ما أحدث له المشاكل !!

كان الدكتور جيد يحمل الى جانب – عدة النصب – المثلثة الرحمات والبركات .. علبة الدخان .. وساعة فاروق والمسبحة الذهبيات جرائد الصباح والمساء البولينيات ..

ان الناظر اليه وهو يضع مجموعة الصحف على المائدة أمامه في مقهى كرانسلر الفخم في شارع كورفورستدام ببرلين يعتقد بأن الرجل الذي الناظر اليه يعتقد بانه انما ينظر الى علامة فهامة جليل القدر عالي الجناب يتتبع تطورات احداث العالم باهتمام فائق ، ودقة تستوعي الانتباه ..

كان يقرأ الصحف باستمرار.. وهو يختار الموائد الستراتيجية في مقهى كرانسلر .. امام النساء الفاتنات .. فيفتح الصحيفة على مصراعيها ويغوص في اعمدتها المتناثرة امامه .. وهو يتظاهر بانه لاه عن كل ما يدور حوله ... وفي الوقت نفسه كان يترك – ازرار – سرواله مفتوحة من تحت الصحيفة بصورة تترك المجال – لثعبانه – ان يتدلى فيطول ويتمرد أمام نظرات النساء الفضوليات اللواتي كن يعتقدن ان الصدفة وحدها جعلت – الدكتور المحترم ينسى ازرار سرواله .. مفتوحة !

لقد كان ثعبان الدكتور عبد المسيح جيد اشنع من افعوان علي غالب الاعرج العراقي !! فهو يطوله بعدة سنتيمترات !!

ابا الخطاب !.

ذكرني منظر الدكتور عبدالمسيح جيد ، الطبيب المصري ، والعقيد العراقي ، بقصة المحامي العراقي الاستاذ محي الدين ابو الخطاب . صاحب مجلة الاديب الموصلية التي توقفت عن الصدور بموجب قانون المطبوعات العراقي الذي صدر في العام المنصرم ، وكان قانوناً مصيباً لمنع السفه والانحطاط الصحفي الذي بلغ القمة في التطاول والتحرش والوقيعة .. حتى صار كل مبتدىء من حملة الاقلام يعتقد بأنه سيد الموقف .. وبأنه قد اصبح قادراً على ان يحطم رأس اكبر سياسي بجرة قلم من رأيه السخيف .. الانهزامي الذي لا يعتد به ، ولا يؤبه له !!

لقد كان ابا الخطاب ينام في مقاهي بغداد وازرار سرواله مفتوحة .. ليس تعمداً منه .. ولكن سهوا منه كسهو العلماء الفطاحل امثال ساطع الحصري والاب انسطاس الكرملي وعبد المسيح وزير الذين اشتهروا بالطرونة العراقية !! ومعناها بالعربية الفصحى الذهول !!

وكنا جماعة من الاصدقاء ومن بيننا الشاعر العراقي الكبير محمود الملاح نراقب حركات اديبنا صاحب الاديب محي الدين فنعلق عليها تعليقات فكهة .. ولما رأى شاعرنا الملاح ما رأى .. قال في التو واللحظة :

ابا الخطاب نسل الاكرمين ... الا تخشى الله العالمينـــا !!.
ترينا الاسود الغالي الثمينا !!
هو كالافعى ولكن بانسياب ... وذو سم ولكن كالشنينا !!.
ابا الخطاب نسل الاكرمينا !!

مدعاة للفخر !

لقد كان طبيب الجامعة العربية يفاخر ويباهي الشباب العربي الناهض الثائر الذي يسهر الليالي في طلب المعالي .. في برلين بأنه بالرغم عن كهولته وعن سمرته وعن ترهله .. يستطيع ان يصطاد بواسطة — عدة نصبه — اكبر كمية من النساء في كل يوم بحيث توازي ما يصطاده الفرد العربي العادي في شهر ! ولعمري ان مقدرة الدكتور جيد في هذا الصدد كانت بارزة فائقة !

كان دكتورنا ينام ويعمل في المستشفى حيث خصصت له شقة لم تبق ممرضة او مريضة ترتاد المستشفى الا ودخلتها .. وصارت محج الرائحات والغاديات .

وفي ذات يوم من ايام شباط ١٩٤٢ زارت المستشفى فتاة قاصرة من عمر الورود لعيادة امها المريضة وكانت ذات حياء وخفر وما ان رآها دكتورنا الا وسلط عليها — اشعته وعدة نصبه — وبسذاجة الفتاة البريئة انصاعت له فدخلت مخدعه وهو الطبيب المحترم الشرقي في ذلك المستشفى !!

وهناك سكبت الفتاة القاصر الدمع الهتون .. فلقد فقدت عفافها !! وثلم عرضها من جروح بالغة لم تشف منها الا بعد عدة اشهر ..

واقتيد دكتورنا الى السجن بتهمة الاغتصاب والاعتداء على عفاف فتاة قاصر .. وليس لاسباب سياسية كما زعم ..

ولولا تدخل المكتب العربي التابع للسيد الكيلاني والذي كنت اديره حينئذ لبقي الدكتور جيد حتى يومنا هذا عاجزاً عن معاشرة النساء ، ولقضى نحبه في غياهب السجن !!

في مربع سيرو !

كان مربع سيرو الواقع في شارع - رانكاشتراسه - على مقربة من كنيسة - غيديشنيس كيرشه - من امتع مرابع برلين وارقاها ، ترتاده الطبقة الارستقراطية القيصرية وعلى رأسها - الكرون برانس - ويلهلم ولي عهد المانيا السابق . وكان ولي العهد صاحب ذوق في الجمال كنا نراه دائماً محاطاً بنخبة ممتازة من سيدات المجتمع البرليني ، ولم يك ينافس ولي العهد في صخبه وملذاته الا مريشال الرايخ غورينغ الذي كان من رواد مربع سيرو حيث يسهر فيه مرتين في الاسبوع ليلة الاحد ، وليلة الاربعاء ! وكان مصطفى صاحب مربع سيرو ومؤسسه من المصريين الناجحين في برلين .. وهو شاب انيق يمتلىء الجسم صحة وعافية ، يعرف كيف يصطاد النساء الفاتنات ويغري السيدات اللواتي تخطين العقد الخامس وبقين متحفظات بمسحة خفيفة من اثر الجمال الغابر !

لقد كانت عين مصطفى سيرو تبقى عالقة بعقود الجواهر واللآلىء التي تزين اعناق هاتيك السيدات ، فغرامه كان بالاحجار الكريمة اكثر من جمال السيدات العجائز .. وفي الواقع فان مصطفى سيرو قد استطاع ان يقتنص عدداً ضخماً من جواهر ولآلىء السيدات العجائز ! حتى ان برلين ضجت بانباء وحوادث ومغامرات مصطفى سيرو ، وصار اسمه اشهر من اسم مربعه الذائع الصيت !!

الدانسور موندين !

كان هملر رئيس الامن العام النازي والغستابو قد وضع عينه

على مصطفى سيرو ، وكان هو نفسه من رواد مربعه .. فأخذ يراقب المربع ، وانتشر رجاله بين الساهرين والساهرات ... ولكن مصطفى كان يضحك من همار ورجاله ، فلقد كان مشمولاً بحماية ماريشال الرايخ غورينغ الذي يحول دون يد همار من ان تصل الى مصطفى سيرو !

كنت اسكن في الطابق الثاني فوق مربع سيرو ، وكنت وانا في شرفة بيتي اراقب الداخلين والخارجين بسهولة ، وقد لاحظت بأن سيدة شابة انيقة تدخل المربع ولا تخرج منه ، تدخل في الساعة الثامنة مساء وتبقى فيه !! وقد دفعني الفضول وحب الاطلاع الى معرفة الحقيقة ..

كان مصطفى من اصدقائي وكثيراً ما حدثني عن مغامراته الغرامية وصيده جواهر ولآلىء العجائز .. فلقد بدأ حياته العملية دانسور موندين — أي راقص اجتماعي !! فهو لا يرقص وحده ، بل يراقص السيدات اللواتي يفدن على المراقص والمرابع لوحدهن بغية شراء اللذة والمتعة مع رجال من طراز الدانسور موندين .. فيراقصها ثم يتفقان على موعد لقضاء ليلة اما في دار السيدة العجوز او في شقة الراقص الاجتماعي .

وقد جمع مصطفى سيرو ثروة طائلة . وصارت المرسيدس الفخمة التي يقتنيها مطمح انظار فتيات برلين الطروبات الكواعب التوب !!

ولكنه رغم هذا الثراء وهذا المال الوفير .. فهو لا يشبع ، ولا يكف عن الاستزادة من جواهر السيدات العجائز اللواتي كن يحمن حول مصطفى كالفراش المتهالك على النور !!

شامبر سيباريه !

وذات مساء وانا اراقب السيدة الفاتنة ذات القناع الاسود وهي تدخل كالافعى مربع سيرو ، شعرت بدافـــع يدفعني للدخول ورائها ، وكان المربع لا يزال خالياً من الرواد .. الا الخدم الذين كانوا ينسقون الزهور والورود على الموائد العامرة بمختلف قوارير المشروبات الروحية .. ووقفت مشدوهاً أمام الجدار المقابل لمنصة الجوقة الموسيقية حيث كانت لوحة كبرى تزين الجدار وهي تمثل الاهرام وتطل على نهر النيل ومن وراء الافق البعيد يبدو منظر الشمس وهي تميل الى الغروب صفراء عاصبة الجبين .. لقد تحركت اللوحة وانفرج الحائط عـن شقة انيقة فيها ٥ غرف سرية ـ شامبر سيباريه ـ يستخدمها مصطفى سيرو لقضاء الحاجات المستعجلة .. ويضعها تحت تصرف الزبائن ـ السمان الاثرياء ليقضون لبانتهم مع المختارات من الفتيات وهذه الغرف مجهزة بالاسرة والفرش الوثيرة والمياه الجارية ساخنة وباردة وبحمام انيق .. ولا يدخل الخدم الى هـذه الغرف ، ويكتفي الزبون ان يصدر اوامره بالتلفون فيأتيه الطعام والشراب بواسطة مصعد صغير . اسانسور !! وبعد ان يقضي الزبون وطره ويدفع الثمن الباهظ يسمح له بالخروج من ابواب سرية غير منظورة بصورة لا يرى فيها الزبائن بعضهم بعضاً ..

اسرار المباذل !

في هذه الغرف السرية كانت تكمن اسرار مبـــاذل القادة النازيين واثرياء العرب والغربيين الذين كانو يفدون على برلين .. ولقد شهدت رؤوساً متوجة ورؤوساً حاسرة .. ولكم خرت

الرؤوس صرعى امام فتنة الجمال الساحر الذي كان يحشره مصطفى. في هذه الغرف السرية فيستنزف الاموال .. ويسخر بنسائه العائلات الشريفة للعمل في هذه الغرف دون ان يعرف مخلوق اي شيء عنهن !

لقد كانت تجارة مصطفى هذه رابحة للغاية فاستغلها الى اقصى حدود الاستغلال !! وكان يصرخ مازحاً : واي.ه يعني ؟ انني احصل على هذه الاموال — بشرف — وبعرق الجبين !

اما العرق الذي كان يتصبب من أجسام الفتيات على مذابح الغرام المباع فذلك ، شرف - لم يحسب له سيرو أي حساب !

كنت احتسي كأسي على بار المربع والصالة تعج بالرواد ، هناك ماريشال الرايخ غورينغ — وروزنبرغ فيلسوف النازية ، والدكتور غوبلز والمسيو دوغريل رئيس حزب — ريكس — البلجيكي ، والدكتور ديتريش رئيس صحافة الرايخ ونخبة ممتازة من سيدات المجتمع البرليني ، وبول ديلوكس .. المحترمات الممتازات او الدجاج المصطفى — اللواتي كن يملأن جو القاعة الفسيحة حبوراً وبهجة بضحكاتهن الصاخبة التي تختلط مع انغام الموسيقى الناعمة فتحدث نوعاً من الضجة المستحبة التي تزيد في الجالسين العابثين بشعر الفاتنات وبراعم نهودهن المتنافرة وخصورهن المياسة حماساً واندفاعاً للاغراق في اللذة والعبث !!

وفي هذا الجو المكهرب فتح باب المدخل الرئيسي وتقدم منه والرايش لايتر ، اس اس S.S. هملر ، ومن ورائه نخبة من عمالقة الغستابو وقد شهروا مسدساتهم وعندها صاح هملر بصوته الاجش : سكوت ! لا يتحرك اي انسان من مكانه !..

وساد الصمت.. وذهل ماريشال الرايخ ! واراد الدكتور غوبلز ان يحتج ولكن هملر كرر كلمته - سكوت - وراح يفتش المربع ، في حين وقف رجاله وقفة الاستعداد بشكل دائرة في وسط القاعة بصفين اعطيا ظهورهما بعضهما لبعض ، الصف الاول وجهه في اتجاه الجدران ، والصف الثاني وجهه نحو المدخل..

ماذا يريد هملر !

لم أتحرك من مكاني .. وبقي الكأس في يدي وكأن اصابعي زادت اصبعاً واحداً ، فلقد جمد الدم في عروقي وأنا أتطلع في وجه هملر .. هذا الوجه المخيف المتجهم لم أره في حياتي مرة بمثل هذه القسوة والوحشية التي رأيته فيها تلك الليلة ليلة العاشر من ايلول ١٩٣٩ .

لقد أهمل هملر وجود هذه النخبة الممتازة من قادة النازية في هذا المكان وأقلهم رتبة يفوقه بمراحل في المقام والجاه .. ولكن هملر وجدهم في هذا الوضع الشاذ العابث ، فوضعهم جميعاً في سلة المهملات ! - وبعد ثلاث دقائق مرت علينا وكأنها ثلاث ساعات ، عاد هملر من حملة التفتيش ولم يعثر على شيء .. ووقف في وسط القاعة وقفة الاستعداد والقى بنظرة فاحصة على الجميع ثم صاح باعلى صوته هايل هتلر !! وانصرف وهو يمشي مشية البط ..

وظهر مصطفى من مكتبه وهو يحمل طائفة من الاطباق الصغيرة . وراح يوزعها على السيدات وهو صامت .. وما ان أغلق باب المربع وراء هملر ، الا واخذت السيدات يرمين المكان الذي كان يقف فيه هملر بشدة فتتحطم الاطباق بعضها على بعض الى ان صارت كومة من الاطباق المكسرة .. وبعد ان انتهت عملية

التكسير ، وقف غراف فون ربينتروب وزير خارجية الرايخ وهو يصيح بسيرو — شامبانيا — للجميع ! على حسابي ! شامبانيا هاينكل بروت ..

ملك الشامبانيا

لقد جاء هملر الى مربع سيرو وهو يبحث عن ابنـة اخته برتا الجميلة التي أشيع في برلين منذ بضعة اشهر بانها قد سارت خليلة مصطفى سيرو ، اذن ففتاة القناع الاسود التي تدخل متلصصة مربع سيرو ولا تخرج منه والتي حملتني على ارتياد المربع واكتشاف سر — شامبو سيباريه — الغرف السرية قد كانت ابنة اخت هملر سفاح الغستابو الاكبر ..

ضحك مصطفى وهو يغمزني بعينه اليسرى التي يضع عليها فردة نظـارة — مونوكل — اسوة بشباب اليونكرز البروسيين الاصليين! ثم قال لي بصوت خافت والله لو كانت لهتلر ابنة لما خلصت مني ..

لقد سجلت نساء هؤلاء جميعاً — مشيراً الى الرجال الموجودين في القاعة .. في قائمة ضحاياي وعلى رأسهن ابنـة ملك الشامبانيا هاينكل حمو الكونت ربينتروب !!

ان من اهم اسباب نجاح فون ربينتروب في حياته السياسية وصعوده السريع على سلم القيادة النازية هو مصاهرته ملك الشامبانيا هاينكل ، فلقد كان ملك الشامبانيا الالماني من ممولي الحركة النازية بعد انتقال هتلر على رأس اركان حرب الحزب النازي الى برلين . ولما اعلن الدكتور غوبلز في سنة ١٩٣٢ افلاس خزانة الحزب تقدم فون ربينتروب الى «الزعيم» هتلر وعرض عليه

ـخدماته .. واموال هاينكل ملك الشامبانيا الالمانية ..

بائع خمر متجول !

لقد كان فون ريبنتروب يشتغل عند ملك الشامبانيا هاينكل بائعاً متجولا . يطوف بسيارته على الفنادق والمطاعم والبارات في مختلف مدن المانيا وقراها عارضاً بيع الشامبانيا !!

كان وسيم الطلعة جميل المنظر ، ولكنه ارستوقراطي فقير بدد الثروة القليلة التي ورثها عن ابوه في ميادين سباق الخيل .. وعلى النساء والمغامرات الليلية .. فهاجر الى اميركا بغية الزواج بثرية اميركية ممن تستهويهن الالقاب .. ولكنه عاد كما ذهب خالي الوفاض .

وفي المانيا اعطاه هاينكل عملاً فعينه بائعاً متجولاً ، وبعد مدة رأى ابنة ملك الشامبانيا الجميلة ، ولم يجد صعوبة في اغرائهـــا ، فاضطر ابوها ان يزوجه اياها لانها حملت منه ، وهكذا ضرب عصفورين بحجر واحد ، لقد تزوج ووريثة اموال ملك الشامبانيا الوحيدة . وصار بعد طول الافلاس شريكاً لها في هذه الوراثة .. وعندها كف ريبنتروب عن العمل وراح يشتغل بالسياسة !

ولما بزغ نجم هتلر في برلين قصد ريبنتروب العاصمة ولم يجد صعوبة في التعرف على « الزعيم » بطريق حفـلات ماجدة غوبلز الساهرة .. فدخل الحزب النازي من بابه الكبير !

بطل من نوع آخر !

ان قصة مصطفى سيرو ، ومربـــعه ، في برلين ، هي قصة لا تكاد ان تذكر بالنسبة الى مغامر مصري آخر رفع رأس الفن العربي عاليـــاً فوق طربوشه ه سنتمترات ! في مختلف المدن

الاوروبية .. وهذا المغامر والفنان الشاطر هو احمد البيه .. الممثل المسرحي زميل فاطمة رشدي والنجم السينمائي الاسمر، والصحفي الجولي، والطباخ العبقري، وصاحب اشهر مربع عربي في اوروبا قبل الحرب العالمية الاخيرة وفي خلالها ..

لقد اختار احمد البيه فيينا عاصمة الفن والجمال والنمسا قاعدة لعمله البديع الجريء! فشيد بنفسه مربعه «القاهرة» في احسن موقع اجتماعي في فيينا على طراز عربي ممتاز يأخذ بمجامع القلوب .

ان قائمة احمد البيه قد سجلت مجموعة من اجمل سيدات اوروبا واكبرهن القاباً وارستوقراطية ، ومن يكن مصطفى سيرو ليقارن اسمه المتواضع بأسم احمد البيه الذي يكتب اسمه بأحرف من نور .. كهربائي يسطع كنجوم برودواي وهوليود ومونمارتو فيضفي على ليالي فيينا روعة وجمال واغراء .

ان الف ليلة وليلة قد انتقلت بجواريها وحسانها وشبابها الى مربع احمد البيه .. فالجواري الحسان المنتخبات اللواتي يسبحن في المسابح الطافحة بالمياه التي اختلطت بألوان زاهية من الانوار الكهربائية التي تثير المشاعر وتستهوي الافئدة .. والحق فان أحمد البيه العملاق الدمياطي الصعيدي المصري الاسمر الذي كان يوازي عمالقة الاس أس « S S » في الطول والعرض والمظهر الاخاذ ، كان بارعاً في فن الغواية والاستهواء باسلوب مليء بالصرامة والتعالي . . .

تينو دوريغور أيت ايكزيجي

ان أحمد البيه الصعيدي المصري العربي العملاق كان يفهم عقلية قادة النازية ونفسية الجرمانيين .. فلقد عمد الى احداث بدعة ما كانت لتخطر على بال مصطفى سيرو او غيره من دهاقنة

المرابع والمراقص الدهاة !! فلقد اصدر امراً ادارياً قاهرياً مدميطاً .. يحتم على رواد مربع القاهرة لباس السهرة فراك ، او سمو كينغ وللنساء لباس السهرة الكبرى .

لقد كان هو يلبس الفراك .. والخدم والحشم يلبسون الفراك وكأنهم في بلاط سان جيمس يستعدون لاستقبال ملك الملوك الامبراطور هايلا سيلاسي امبراطور الحبشة .. وكان يمنع رواد المربع كائناً من كان من الدخول اذا لم يكن مرتديا السموكينغ او الفراك !!

ان صرامة احمد البيه من هذه الناحية اوجدت في فيينـا حركة عادت بالنمسيين والاجانب فيها الى ايام الامبراطورية حيث كان لباس السهرة مفروضاً على كل سيد وسيدة في الحفلات ..

لقد اثرت هذه الظاهرة في المجتمع تأثيراً واضحاً فصار التأنق رائد الجميع ، وصارت الموائد في مربع القاهرة تحجز اسبوعاً سلفا .. ومن من الناس لا يريد الاستمتاع بالجواري الحسان يرقصن عاريات في احواض سباحة الف ليلة وليلة التي يعرضها البيه على الجمهور بمثل هذا السخاء !

سيرو والقاهرة !

لقد اخذ مربـع سيرو مكانته الممتازة في برلـين .. كمربع سهل ممتنع لزعماء النازية وقادتها .. يجدون فيـه ضالتهم المنشودة .. ويرقصون حول الصحون المتكسرة التي حطموها كالمستعيذ بالله من شرور همار . فرجموه بها في مربع سيرو ببرلين !!

ولكن مربع احمد البيه كان يتطلب من الزعماء النازيين ، ومن غيرهم طاعة النظام .. نظام المربع الذي فرضه احمد البيه بالقوة

والقسر .. فلا شامبر سيباريه .. ولا امتيازات خاصة .. ان الجميع في مربعه متساوون في الدرجة والامتياز .

الشامبانيا واجب مفروض !! ومن لا يفتح زجاجة شامبانيا مصيره مغادرة المربع .. لا جدال في ذلك !!! الاوامر صريحة واضحة .

... والفنانات والفنانون يلبسون ويرقصون تبعاً لاوامر البيه .. والخدم الذين يرتدون الفراك والقفاز الأبيض يدفعون لاحمد البيه نصف ارباحهم الليلية !! ثم ان احمد البيه هو الذي يختار بنفسه الزبائن الذين يرتادون المربع ، فمن لا يعجبه منهم يقول له بصراحة ان المحل محجوز .. حتى ولو لم يكن في المربع اي انسان واحد !

يطيرون من برلين !

ان جل زعماء الحزب النازي كانوا يمتطون متن الطائرة لقضاء سهرة ممتعة في مربع القاهرة ، في ذلك الوسط الصارم من النظام ، وكان من الواجب حجز الموائد قبل اسبوع من الوقت المحدد !

لقد كان الالمان يحبون الطاعة والنظام .. ولكن احمد البيه المصري الصعيدي العملاق فرض عليهم نوعاً جديداً من النظام والطاعة ، خلقه هو ، وكيفه وفرضه هو فرضاً .. فالملاهي والمرابع كانت الاماكن الوحيدة التي كان الالماني المحب للنظام يجد فيها المجال واسعاً امامه ليسرح ويمرح ويشرب ويصخب ! كما هي الحالة في مربع سيرو ببرلين !

ولكن احمد البيه كان يستخدم طائفة من العمالقة المصارعين يقفون وهم مكتوفي الايدي ساكتين بملابس السهرة الرسمية وبالاوسمة .. اما من اين جائتهم هذه الاوسمة .. ومن منحهم

اياها فذلك سر من اسرار احمد البيه قدس الله سره العزيز!..

وعند أقل اشارة من البيه ينقض العمالقة على الزبون المشاغب أو المخالف للنظام فيحكمون مسكه وبسكوت عجيب يقذفون به خارج المربع .. انهم يقومون بعملهم هذا وكأنهم يمثلون دوراً من ادوار المنهج المعتاد ..

كل هذا واحمد البيه يقف بقامته الفارعة ببدلة الفراك وهو منتفخ الاوداج وقفة امبراطور يرعى شعبه الوفي ولا توف له عين .. واحياناً تنفرج شفتيه عن ابتسامة سريعة لمريشال هتلري او زعيم نازي ، او نجمة سينمائية لامعة !

محتكر نابغة !

ان احمد البيه لا يحفل بجواهر السيدات العجائز ولا بأموالهن بقدر ما يحفل بالجمال ، الجمال النمساوي الاخاذ ، والاسكندينافي الاشقر ..

لا يوجد عند مربع القاهرة ــ شامبر سيبارهه ــ فهو يعتبر هذا النوع من (قيادة الجنس) بضاعة مزجاة .. وهو لا يسمح لكائن من كان ان يقبل رفيقته في المربع ، اذ فرض على الجميع احترام المكان !!

الحق ان مناهج احمد البيه كانت مختارة ومنتقاة ، وكان يستقدم من اشهر كباريهات باريس ومدريد وبروكسل وروما المع النجوم واشهر الممثلين والممثلات ، يدفع لهم الاموال الطائلة بسخاء عربي ، وكرم حاتمي !

وفضلاً عما تقدم فان المانيا الهتلرية في ايام الحرب العالمية الثانية لم ترَ محتكراً بلغ الاوج في الاحتكار مثل احمد البيه ! ومع ان جزاء الاحتكار هو الاعدام بدون محاكمة ، فان صاحبنا البيه لم

يهتم بالعقوبات بقدر اهتمامه بارضاء «نهم» قادة الجيش وقادة الحزب النازي من لحوم الخنازير والدجاج والبط وديك الحبش ..

انك لو أردت جملًا .. لأوجده لك احمد البيه من تحت الارض وبسهولة تحير العقل، ولجعلك تدفع الثمن الباهظ عن طيب خاطر مشفوعاً بالشكر والتقدير لهذه الالتفاتة الكريمة التي بدرت من صاحب القاهرة نحوك!

في مخدعه الخاص!

لقد كان لأحمد البيه في شقته الفخمة التي حرص على تأثيثها بالطراز العربي المغربي والشرقي، مخدع فخم للغاية يستهوي فؤاد اجمل سيدة من سيدات المجتمع، فلقد جعل المخدع على غرار مخدع سلاطين آل عثمان في قصر يلدز، والسرير في المربع يتسع لنوم ٥ اشخاص براحة وبدون ان يزعج احـــدهم الاخر! والبراد الكبير العامر بما لذ وطاب من المآكل التي يسيل لها لعاب صبحي زبن الذي كثيراً ما زار هذا المخدع وازدرد منه الحمام والعصافير كما يزدرد الافعوان حملا صغيراً!

ان احمدا لا يدعو احداً الى مخدعه الخاص الا اذا كان من اصدقائه الخلص، ولقد اراد المفتي مرة ان يزور شقة احمد البيه فاعتذر بحجة ان في الشقة اصلاحات كثيرة .. ومر عام على هذه — الاصلاحات — وكرر الافندي الطلب .. ولكن صاحب القاهرة رد عليه بقوله: اكسيلانس ان الاصلاحات لا تزال مستمرة!! وهكذا كسب احمد البيه عداوة «الافندي» في سنة ١٩٤٢ ..

عراقي يرقص امام هملر!

كنت قد عرفت احمد البيه على صديق عراقي كان فنانـــاً

اشتهر في أوروبا قبل الحرب بفن الرقص الكلاسيكي حتى راحت تتخاطفه المسارح في العواصم الكبرى .. وكان العمل في مربع القاهرة يضيف الى شهرة كبار الفنانين شهرة فوق شهرة !

ومن أجل ذلك تعاقد احمد البيه مع الفنان العراقي العربي الكبير وليم شفو الذي كانت زوجته الدانمركية الحسناء هي زميلته في الرقص المزدوج الكلاسيكي !

كان هملر يزور فيينا زيارة شخصية خاصة عندما افتتح الصديق وليم شفو أول حفلة من حفلات رقصه في عاصمة النمسا .. وقد كان من الصدف النادرة زيارة هملر لمربع القاهرة في تلك الليلة !

كنت صحبة الصديق صبحي زبن المجاهد الفلسطيني نأكل في شقة احمد البيه في ذلك اليوم اذ اعد لنا بطة حشاها بالارز وحواصل الدجاج ، لقد طهاها لنا احمد بنفسه ، وبعد ان نسفنا ما تيسر من مخلفات صينية بقلاوة عامرة بالعسل المصفى ، طفق احمد يحدثنا عن « بروغرام » منهاج الليلة ، قال : الليلة دي ليلة ليلاء .. خلوها في سركم رجاء ! عندي لكم مفاجأة نادرة !! اتدرون ماذا ؟ الليلة دي ستجلسون عندي الى جانب هملر !!

وهنا صاح صبحي زبن .. ايه هملر ؟

قال احمد بالضبط وبالذات !!

قال زبن في أي ساعة ؟

قال احمد على الساعة العاشرة تماماً .. ثم اردف قائلا ، وفضلا عن ذلك موجهاً الكلام الي ..

ان صاحبك وليم شفو الفنان العراقي سيرقص أمام هملر !!

هملر في المربع

لم يكن ليدور في خلد احمد بأن هملر سيزور مربع القاهرة

ولكن الليلة كانت ليلة الاحد ، وعيون مجتمع فيينا يتهافتون على ذلك المربع لانه يشبع ذوقهم في مثل ذلك اليوم من كل اسبوع !

لقد كان يوم الدعاية الاكبر لباقي ايام الاسبوع ..

قلت للصديق وليم شفو قبـــل ساعة من عرض فنه : شد حيلك يا ولد ؟

قال : باللهجة العراقية شنهي القضية ؟

قلت ان همار بالذات سيحضر ليشاهد فنك يا استاذ !!

وهنا لمعت أسارير وليم ، وراح ينط ويقفز من شدة الفرح .. ثم عاد فقال لي : راح تشوف ياب .. ايش راح اسوي بهمار !!

وفي تمام الساعة العاشرة شاهدنا عشرة اشخاص يدخلون المربع بملابس السهرة المدنية وكان الرجل الاخير الذي دخـــل خلفه همار هو صبحي زبن !!

لم يتمالك احد البيه نفسه فرفع يـــده وصاح بصوته الاجش : هايل هتار !!

همار يصفق ...

لقد كان المربع يعج بالقادة والزعماء وكبار نجوم ونجمات السينما ، ساوا ليانـدا .. روزيتا سيرانوا .. ليلي ماير هوفر .. هانز موزر .. ويلي فريتشه .. ونحن !!

وكان المنهج مطبوعاً على انفس ورق صقيل وبماء الذهب ، وكانت اسماء النجوم والنجمات تتلألأ على المنهج وكأنها تتراقص جذلا بهذه المناسبة السعيدة .. في حين ان اسم الفنان العراقي كان يجلله العلم بألوانه الاربعة الزاهية ..

وما عتم ان لحني همار عنـــدما كان يتصفح المنهج .. فما كان منه الا ان رفع الصفحة التي فيها صورة العلم العراقي ولوح بها الي.. وهو يبتسم !! فرفعت يدي محيياً بالتحية المتاربة ..

رقص صاحبي وليم شفو رقصة بوليرو لمؤلفها « رافل » وكان همار من المعجبين بهذا المؤلف والملحن الموسيقي » وكانت هذه الرقصة هي سبب شهرة وليم العراقي لانه امتاز بهـا واتقنها الى درجة العبقرية والابداع !..

وراح وليم شفو يراقص زميلته وكأنه يطير على خشبة المسرح ويبدي فنه الذي مزج فيه الحركات الغربية بالشرقية العربيـــة بصورة جعلت من « البوليرو » رقصة ما كان «رافل» نفسه يحلم بها او يتصورها .. ولو انها مزيج من الانغام الغربية والشرقية !!

وهنـــا التفت الي همار وهو يصفق اعجاباً وبحرارة ويقول بصوت مسموع « آوس غيسايختيتس » أي عظيم للغاية !!

وينتر غارتن !

كنا في برلين في شهر تموز ١٩٤٠ وكنت قد تزوجت فتاة هولندية تعرفت عليها في فرنسا عام ١٩٢٩ . وقد انتقل وليم شفو الفنان العراقي الى برلين » وحل في نزل قرب مطعم روما في شارع « لوتو شتراسه » شارع الفنانات والفنانين.. وكان يسكن في هذا النزل المذيع البريطاني الاول في اذاعة برلين » اللورد هاو هاو .. والمستر جون ايمري بن اللورد ايمري وزير المستعمرات البريطانية المذيع الثاني في الاذاعة الالمانية باللغـــة الانكليزية من برلين . والمرحوم السيد سالم الالوسي القائم بأعمال المفوضية العراقية في روما والذي التجأ الى المانيا مفضلاً البقاء فيهـــا على الرجوع الى

العراق بعد ان اعلنت ايطاليا الحرب على فرنسا ..

لقد بلغت شهرة وليم شفو النجم العراقي العربي درجة رفعته الى مصاف النجمة السينمائية السويدية الكبرى ساره لياندر والنجمة الشيلية الممتازة روزيتاسيرانو، فتعاقد معه مسرح (وينترغارتن) العظيم اشهر واوسع مسرح للميوسيك هول في اوروبا .. وبالتالي في العالم !

وضرب وليم شفو ضربته الكبرى .. وصار المع نجم فني في المانيا الكبرى .. لقد زكاه «الرئيس» هملر فصفق له واعجب به .. وكتبت عنه أمهات الصحف الالمانية المقالات الطوال والصور المثيرة، وصار مسرح وينتر غارتن يفتخر بالفنان الذي صفق له هتلر ..

رقاص مع الزعيم !!

الحق ان الذكريات صدي السنين الحاكي !

فاليوم وبعد مرور ١٥ عاماً على هذه السلسلة السينمائية الحية من وجودنا في برلين عاصمة الرايخ الالماني الثالث استعيد ذكريات ما اطيبها على القلب فهي جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية التي كنا نحياها في وسط الارهاب والشدة والجوع .. وتحت وابل مستمر من قنابل طائرات الحلفاء التي كانت تصلينا نيراناً حامية في كل نهار وليلة بدون هوادة او لين وبدون انقطاع .

ومضت الايام وجاء المفتي الحاج امين الحسيني الى برلـــين وبعد شهر واحد من وصوله جــــاء السيد رشيد عالي الكيلاني مع اركان حربه السادة جزمي سليمان وحكمت سامي ونجدة الشواف مرافقه العسكري .

وكان السيد محمد سليمان الجنابي « المايور » موجوداً في برلين وهو يسكن في نفس النزل الذي يسكن فيه النجم الفنان وليم

شفو والمستر جون اميري واللورد هاوهاو ..

ان رشيد عالي الكيلاني الذي زامل المرحوم العقيد محمود سلمان الجنابي في حكم العراق ابان نكبة ، مايس ١٩٤١ اصطفى « الرئيس الاول » محمد سلمان وجعله مستشاراً عسكرياً له وهو في برلين .. وحباه ثقته وكتم اسراره ولما كانت اواصر الصداقة قد توثقت بين المايور وبين جاره في السكن وليم شفو ، فلقد كان من الطبيعي ان يقدم صاحبنا محمد سلمان ، وليم شفو الى « الزعيم » ليس هتلر .. ولكن رشيد عالي الكيلاني ! كما كان يسميه في برلين الاخوان من ابناء العراق !!

ولما بلغ سمع المرحوم سليم الالوسي هذا النبأ هب محتجاً صارخاً باللهجة العراقية : يابا شلون ممكن ! ان يقدم محمد سلمان وليم شفو الرقاص الى « الزعيم » الكيلاني ؟

قصة الزعامة !!

ان لدى معالي الصديق والاخ العزيز الدكتور محمد حسن سلمان وثائق مهمة وخطيرة جداً عن وضع (الزعيم) رشيد عالي الكيلاني وعن العرب في المانيا بوصفه اول مدير للمكتب العربي الذي افتتحه «القادري» الكيلاني في «بوكلر شتراسه» ببرلين ثم خلفه بعده ، معالي الاستاذ علي الصافي مديراً للمكتب العربي الذي يعني ان المكتب هو مجلس الوزراء ، وبأن مديره هو رئيس الوزارة العراقية « القادرية » التي يقف على رأسها رئيس الدولة العراقية « المارية » السيد رشيد عالي الكيلاني الذي اعترف بوجوده رسميا هتلر وموسوليني والامبراطور هيروهيتو عاهل اليابان !؟

ولما فر الدكتور محمد حسن سلمان مع زوجته هارباً من

المانيا الى تركيا استدعى السيد رشيد عالي الكيلاني الدكتور علي الصافي ليخلفه مديراً لمكتبه العربي .. ولكـــن الدكتور الصافي رأى ان سياسة الكيلاني لا توافق مزاجه ومزاج صديقنا المشترك الدكتور عبد الحميد الهلالي فتركه .. وفضل البقاء على الحياد لمعرفة نتيجة الحرب !!

وعندما استفاق السيــد رشيد عالي الكيـلاني من غيبوبته استدعاني الى برلين وكنت في بودابست منفيا بطلب المفتي !!

المكتب العربي .

لقد كان السيدسامي سعد الدين صاحب الصيدليـة الاسلامية في بغداد قد منح « الزعيم » قرضاً مالياً ، اجهل قدره حتى كا ان القرض لم يسدد له ايضاً ولما صرت مديراً للمكتب العربي « الكيلاني » اي رئيساً للوزارة العراقية « القادرية » قدس الله سرها العزيز .. واسرار شيخنا « الزعيم » ونفعنا بيـــاركاته « القادرية ! » قررت فوراً استعمال حقي في المطالبةبمال سعد الدين وفي تطهير مقر المكتب العربي « اي مجلس الوزراء » من تنابلة السلطان و (المتنافون)بحياة « الزعيم » رئيس الدولة القادرية ..

وكان اول شيء فعلته هواخراج المرحوم السيد كامل الكيلاني من المكتب لانه كان يستعمل اجمـــل شقة فيه للنوم والطبخ والنفخ .. وكان له فيه مآرب اخرى !

ثم ابعدت الاستاذ جميل الجابي عن « الزعيم » فلقـد كان له كالسيد كامل الكيلاني التأثير القوي على « الزعامة » التي مــا كانت لتقبل نصحاً وارشاداً الا من هذين الصديقين وكانايتنافسان في تقديم النصح بسخاء «للزعيم» بصورة جعلته يكيل الوعود كيلاًللألمان

- سناتي على ذكرها بالتفصيل في كتاب خاص عنوانه « المفتي والكيلاني »واوفدت الى باريس الدكتور ماجد شيخ الارض.. والى صوفيا عاصمة بلغاريا المجاهد صلاح المختار .

التطهير !

لقد كان علي وانا اقوم بمهمة مدير المكتب العربي او بعبارة أصح لوجه التاريخ الجليل القدر العالي الجناب « رئيساً للوزارة القاذرية في برلين » ان أعيد تنظيم الادارة « مجلس الوزراء » فكان الرئيس الاول محمد سلمان من ضباط الجيش العراقي الذي فر وهو في طريق عودته من لندن الى بغداد بالطائرة من لشبونة الى برلين كماسبق انأوضحت ذلك في الجزء الاول من هذه السلسلة.. كان محمد سلمان المشرف على الشؤون العسكرية لدولتنا .

وكان السيد حكمت سامي المشرف على الشؤون المالية .. وكان الملازم الاول نجدة الشواف مرافقاً عسكرياً « للزعيم » وكان السيد جزمي سليمان المشرف على الشؤون الداخلية.. وكان البروفسور فرج الله ويردي الكيلاني العراقي رئيساً لشعبة الترجمة.. وجعلت الدكتور مهدي الحمداني مديراً لادارة المكتب . لقد فرضت رقابة شديدة على « الزعيم » وحددت زواره ونظمت مقابلاته .. ولم يعد كل من هب ودب يستطيع مقابلة « الزعيم » بالسهولة الفوضوية التي كانت سائدة من قبل ..

٣ مكاتب عربية

كان هناك في برلين ٣ مكاتب عربية تعمل في بلد واحد ، ولكن ليس من اجل غاية واحدة .. اريد ان اقول ان الهدف كان واحداً لخدمة العروبة .. ولكن الاجتهاد في هذه الخدمة

كان مختلفاً !

١ – المكتب العربي المستقل الذي أسسته الحكومة الالمانية بالاتفاق مع مديره الاول المجاهد الاستاذ عفيف الطيبي ليوجهه حسب اجتهاده وبحرية مطلقة لضمان التعاون العربي الالماني ، وكان هذا المكتب منتجاً اكثر من غيره من المكاتب الاخرى الثلاث لان السلطة فيه كانت غير موزعة ، ولا تتجاذبه التيارات الخفية والعوامل الشخصية المتنافرة !

٢ – المكتب العربي لسماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين السابق !

لقد كان المكتب العربي الذي أدرته يتعاون مع المكتب الذي كان يديره الاستاذ عفيف الطيبي تعاوناً تاماً ولكن المكتب العربي التابع لدولة الكيلاني كان يعمل ضد المكتب العربي التابع لسماحة المفتي .. بناء على تفاقم الخلاف بين الكيلاني والمفتي لاسباب سياسية شخصية ! سنذكرها في كتاب خاص !

وقد ذهبت ضحية هذا الخلاف مرتين !

الخلاف الاول !

لما انتقل سماحة المفتي الحاج امين الحسيني من قصر الضيافة الذي انزله فيه « الزعيم » هتلر لا الكيلاني ! الى الفيلا الجميلة التي خصصتها له حكومة الرايخ الثالث مع الخدم والحشم .. كان مع « الافنـدي » الشاعر الثائر المنثور الدكتور صبحي ابو غنيمة والسادة راسم الخالدي ومحمد حجازي ثم التحق بهم الدكتور فرحان الجندلي كمترجم لانه اخذ شهادة الدكتوراه في الطب من جامعة المانية فكان يجيد لغة هتلر .. لا من حيث القوة ! بل من

ناحية اللغة ! فالدكتور الجندلي لا يجرؤ على قتل فأر في جحره ..
وفي اليوم الاول الذي انتقل فيه المفتي الى الفيلا الجديدة دعاني « الافندي » لتناول طعام الغداء على مائدته التي كانت دائمـــاً عامرة بالمآكل العربية الشهية التي كنا محرومين منها طول مدة الحرب! وكان المفتي كعادته يطنب في مدح اذاعاتي وخطبي واسلوبي.
ولكنه في كل مرة يمتدحني عندما اكون في حضرته يستشهد باقوال المسيو كولومباني مدير الامن العام الفرنسي في لبنان في اذاعة برلين التي قال عنها انها كانت اقوى اذاعة عربية بفضـــل وجودي فيها ..
وقد عز على فرحان الجندلي الدكتور الطبيب هذا الاطراء فقال زاعما ان اذاعة لندن اقوى من اذاعة برلين . ولولا تدخل الصديق الدكتور صبحي ابو غنيمة لكاد ان ينقلب هذا الفرحان الى ندمان زعلان غضبان .
وبعد أيام وصل سرا فخامة رشيد عالي الكيلاني .. وحل ضيفاً على المفتي في (فيلته) الجميلة .

الكيلاني يستنجد بي ..

كتم سماحة « الافندي » نبأ وصول الكيلاني الى برلـــين ، وابقى السر مكتوماً زهاء شهر بأكمله ... وبعث الى الجنرال فوزي القاوقجي صديق الطرفين المرحوم بهاء الدين الطباع يسألني عما اذا كان الكيلاني قد وصل برلين ؟
قلت لا ادري ؟..
قال اسأل صديقك الوزير غروبا ..
قلت صبراً .. وذهبت الى وزارة الخارجية الالمانية . وقابلت

الدكتور غروبا فقال لي لقد وصل الكيلاني الى برلين قبل اسبوعين، وفي صحبته السيد جزمي صهره، ومرافقه الملازم الاول العراقي نجدة الشواف ! وقد حلوا ضيوفاً على « غروس مفتي » يعني المفتي الاكبر !

اكدت بدوري للصديق القاوقجي قدوم الكيلاني، ثم كررت له دهشتي من حرص المفتي على كتمان نبأ وصوله ولماذا يمنعنا من مقابلة الكيلاني، ويزعم مؤكداً بأن رشيد عالي لم يصل ! وهو لا يزال مريضاً في استامبول .

قال القاوقجي : انك لا تعرف سماحته جيداً .. فان اساليبه في السياسة، اساليب خاصة لا يمكن ادراك كنهها بسهولة .

وفي مساء ذلك اليوم كنت اقتحم « فيـــلا » المفتي .. وقبل ان استقر على مقعدي في القاعة الكبرى التي تفصـــل بينها وبـــين المخدع الثاني ستائر حريرية ثقيلة حيث يستقبل «الافندي» زواره من العيار الثقيل .. اجل قبل ان استقر جالساً واذ بالصديق جزمي سليمان يلمحني وهو يمر من على شرفة الطابق الاول، فاشار بيده ثم اختفى . وبعد بضع دقائق ظهر السيد جزمي سليمان مرة اخرى وقال لي بصوت مرتفع : تفضل يا استاذ .

وبقدرة قادر ازيح الستار الثقيل وظهر سماحته وهو بعباءته السوداء وعمامته الضخمة الاسطوانية البيضاء . ومد يده لمصافحتي ثم قال بدوره وهو يبتسم ويلعب باصبع يده اليسرى بأرنبة انفه الاقنى : تفضل يا استاذ . مشيراً الى مخدع العظماء من زواره .

صافحت المفتي وانا اضحك مقهقهاً ثم قلت سأتفضل بعدئذ ، انا مطلوب فوق !

مع الكيلاني

تركت سماحة الافندي وهو يحرق الارم غيظاً.. لقد سمعته وانا اصعد درجات السلم حيث كان ينتظرني جزمي سليمان فوق الشرفة، وهو يقول لمن تداعوا اليـــه متراكضين من المريدين والاتباع : من اخبره ؟ من اين علم ؟ سيفضحنا يونس بحري.. ان لسانه اطول من لسان «ابو العبد» الزعيم سليم عبد الرحمن !

وهناك في الطابق الاول من فيلا المفتي التي كانت ملكاً لقنصل البرازيل اقتادني السيد جزمي الى شقة السيد رشيد عالي الكيلاني !

لقد كان المشهد مؤلماً مؤثراً للغاية، فلقد كنت انتظر ان اری الكيلاني مرحاً كعادته عندما كان رئيساً للديوان الملكي ببغداد في هاتيك الايام التي كنا فيها تحت راية الملك الخالد غازي نقارع الاستعمار، ونقود الجموع ونطالب بالوحدة العربية ... وندحض مفتريات الجهال !

اجل كنت اتوقع ان ارى الكيلاني كما عهدته سابقاً ببغداد ! فماذا رأيت ؟

رأيت امامي رجلا قد انهكت الايام قواه.. لقد كان يبكي! يبكي وهو يقطع شعر رأسه بكلتا يديه، ثم التفت الي وهو يردد القول : لقد سجنني ! لقد مضى علي ٢٠ يوماً وانا على هذه الحالة.. لقد منعني من الاتصال بأحد ! يا اخ يونس ارجوك ان تنقذني ! اريد حريتي. والا اعيدوني الى بغداد سلموني للحكومة.. وهناك دعوهم يشنقونني .. انني افضل الموت على مثل هذه الحالة .

وفي الواقع فانني لم اعرف حتى كتابة هذه السطور ونشرها على الناس «السر» في كتم نبأ وصول رشيد عالي الكيلاني الى برلين !

ولماذا (سجن) المفتي صديقه وحبيبه وزميله الكيلاني في داره ببرلين.

بدأ الصراع

لقد شعرت وانا ارى هـذا السياسي العراقي الكبير امامي يبكي ويستنجد بمثل هذه الحرقة والحزن للخلاص من الامر، بأن الارض تميد بي .. فثارت في نفسي عوامل كثيرة تدافعت كلها الى رأسي، ذكريات التعاون السياسي القديم، ذكريات حفلات بغداد .. ذكريات النضال العربي .. مع عامل الشفقة على هـذا الرجل الذي كان يشار اليه بالبنان في بغداد عاصمـــة الرشيد وفيصل، ومنارة المجد التليد ..

لم انطق بحرف واحد . وكان جزمي سليمان يستمع الى عبارات صهره والدمع يكاد ان يتفجر من مآقيه .

وبحركة لولبية درت حول نفسي .. ثم انطلقت اجري نحو الباب .. ورحت أنهب الارض نهبا الى الباب الخارجي حيث كان سماحة الافندي يذرع الارض جيئة وذهاباً !

قال وهو يكاد يعترض سبيلي في الممر الضيق الذي تعلوه من الجانبين اغصان الزيزفون : الى اين يا استاذ ! اراك على عجـل ? تفضل خذ معي فنجان قهوة !

قلت استمع اليوم الى الاذاعة يا سماحة الافندي !

قال : لا يا استاذ بعد وكت : قالها باللهجة العراقية .. وهو يعني ان الوقت لم يحن بعد لاذاعة نبأ وصول الكيلاني الى برلين !

قلت لا يا افندي . ثم أردفت باللهجة العراقية : هذا الوكت الجنا نريدا .. هذا الوقت الذي كنا نريده !

وما ان استعاد سماحته رشده حتى كنت في سيارتي اسوقها

بسرعة جنونية الى وزارة الخارجية ، وهناك عند الوزير الدكتور غروبا افرغت حقيبتي !

صوت ايينانس

قال الدكتور فريتز غروبا بعد أن أصغى الى حديثي بامعان :
ان كل ما قلته لي هو صحيح ومعقول .. ولكننا عملنا بنصيحة « زاين ايينانس » اي سماحته .. لنتجنب الاشاعات والاقاويل .. فالمفتي يقول : اننا قبل ان نعلن نبأ وصول « رئيس الدولة — كذا — » يجب ان نضع برنامجاً نتفق عليه للعمل ثم ننفذ التعاون العربي الالماني !

قلت ان التعاون العربي الالماني موجود بالفعل منذ ان تمت بتأسيس اذاعة برلين العربية .. وان هذا التعاون العربي الالماني قد ضعف منذ وصول سماحته ووصول الكيلاني برلين ... لقد كانت كلمة العرب هنا قبل وصولهما واحدة .. واليوم فلقد صارت كلمتهم ذات ثلاثة اطراف .

ان الخلاف بين المفتي والكيلاني قد بدأ .. بل استفحل يا دكتور غروبا وسترى ماذا ستكون النتيجة . ان « صوت ايينانس » قوي جبار . يعرف كيف يحارب خصومه .

قال غروبا انني اعرف ماذا تقول ، ما هو رأي « هير اوبيرست قاووقجي ؟ » يعني العقيد فوزي القاووقجي ؟

اوبرست قاووقجي

قلت ان رأي القاووقجي هو من رأيي ، بل هو الذي أشار علي باذاعة نبأ وصول الكيلاني . واستغلال النبأ لدعاية كاسحة في الاذاعة العربية والاذاعات الاخرى باللغات الانكليزية والفرنسية ...

وأزيدك علماً بأنني قبل ان أدخل عليك تكلمت مع « اللورد هاوهاو » المذيع الانكليزي الاول ، والمسيو فيردوني المذيع الفرنسي بالتلفون وأخبرتهما بالنبأ لاذاعته باللغات الثلاث في ساعة واحدة .

قال غروبا أما والحالة هذه فلنذهب الى العقيد قاووقجي .

وفي بيت القاووقجي كانت حلقة « الرواد العرب » مجتمعة حول « الطاولة » حيث كان المرحوم المجاهد السيدبهاء الدين الطباع يلاعب السيد عبد الكريم السباعي — الذي صار اخيراً رئيس بلدية بيروت — وكانت الرواد تملأ البيت والشارع .

هذا الدكتور علي الصافي بقامته الفارعة يقهقه ضحكته المتقطعة .. والدكتور عبد الحميد الهلالي يضحك بدون صوت ويرنو الى البروفسور فرجالله ويردي بنظرات مغرية للتحرش برافق القاووقجي حميد الصافي ليطلب منه لفافة تبغ . وكان أكثر الحاضرين هدوء المجاهد العربي منير الريس والدكتور جابر عمر الذي كان يراقب الجميع ويدفع الجميع بتشجيع منير على الاكثار من هذه الضجة المستحبة ..

وجاء اوبرست قاوقجي «والسيغارة» التقليدية تتوسط شفتيه يرحب بنا فقبلني .. وصافح الدكتور غروبا .

لقد انعم «الزعيم» هتلر على القاووقجي في يوم وصوله مجروحا بالطائرة الى برلين برتبة «اوبرست» عقيد بالجيش الالماني والرتبة ليست فخرية بل رسمية ، ووضع هتلر مرافقا المانيا له برتبة رئيس وسيارة عسكرية مع سائق برتبة نائب ضابط .. تقديرا لبطولته العربية .

وبعد ان تحدثنا عن موضوع السيد الكيلاني والمفتي اقرني «الويرست فاووقجي» وانصرفنا .

ثورة رشيد !

وفي مساء ذلك اليوم كنت في اذاعة الموجة القصيرة اعــد «ريبورتاجا صحفيا» للانباء عن وصول «الزعيم» الى برلين سالما .. وقد اضفت من عندياتي وبدون ان استشير احدا من الخارجية أو من قصر المستشارية بأنه وصل ليواصل العمل والجهـــاد من برلين على راس حكومته التي صرت وانا رئيس وزرائها اي مدير المكتب العربي » .

واذكر أنني اخترت عنوانا لهذا الريبورتاج الطريف ، الذي كان له وقع الصاعقة في لندن وبغداد .. وبقية انحاء البلاد العربية ومن لم يسمع بثورة رشيد عالي ؟

لقد اقمت الدنيا العربية واقعدتها لهذه الثورة التي كان منها رشيد عالي بريئا .. براءة الذئب من دم بن يعقوب !!

ان الضباط الاربعة لما قرروا بالاتفاق مع المفتي الحاج امين الحسيني القيام بالانقلاب العراقي العسكري الثـــالث قرروا استدعاء رشيد لتأليف الوزارة .. كما استدعى ضباط الانقلاب المصري الاستاذ علي ماهر لتأليف الوزارة المصرية يوم ان اخرج فاروق الاول والاخير من مصر ..

فالثورة ليست ثورة رشيد عالي ، وان هـــذه التسمية هي خطأ تاريخي لااساس له من الصحة !!

اذاعة النبأ

وبعد ان اذعت النبأ ، نبأ وصول رشيد عالي الكيلاني الى

برلين، وعلقت عليه الذيول والحواشي .. كشرح اللباد على متن الحصير !! دق جرس التلفون .. وكان المتكلم، الدكتور صبحي ابو غنيمة ..

قال : واروم هاس توداس غيماخت ؟ قالها باللغة الالمانية، يعني : لماذا فعلت هذا ؟

قلت : داس هالب !! اي من اجل ذلك ..

قال الدكتور ابو غنيمة : يا يونس خليك معنا !!

قلت لا ياسيدي انني لن استطيع معه صبرا ..

قال ارجوك شرفنا غدا لتناول طعام الغداء فسماحته يدعوك !

قلت على الراحب والسعة !

على مائدة المفتي

وعلى الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالي كنت في بيت المفتي، وكان العقيد فوزي القاووجي حاضرا والسيد بدري قدح «ملحق المفتي العسكري» وكان من قبل مساحا في امانة العاصمة العراقية ببغداد ومن المقربين «العاطفيين» للقاووقجي وكان هناك ايضا السيد عبد الكريم السباعي والدكاترة صبحي ابوغنيمة وفرحان الجندلي !

حول مائدة المفتي

اجلسني المفتي على يمينه واجلس القاووقجي على الشمال ... فغمزني ابو مجدي «القاووقجي» بعينه محذرا .. فقلت له بصوت عال : حصل !

وعندها تكلم «الافندي» ولم يلتفت الي، بل قال سمعت تسجيل الاذاعة العربية مساء البارحة .. لقد كان التعليق موفقا

ولكنه كان سابقا لاوانه ..

لم اود ان اجيب بسرعة حبا مني في استدراجه .. ثم سكت. وكأنه ينتظر مني الجواب على هذا التحدي !!

ودار علينا الساقي بأباريق مليئة بعصير الفواكه .. وبدلا من ان أرد على سماحته .. قلت للساقي ان فخامة السيد رشيد عالي الكيلاني الذي هو في الطابق الاول — فوقنا يحب عصير البرتقال .. خذ هذا الابريق الى فخامته !

تبدل الموقف

وعندها حلق القاوقجي في وجهي متسائلا وكأنه يسمع بالنبأ لاول مرة . ماذا تقول يا يونس ؟ هل ان فخامته هنا ؟

وقبل ان اجيب على السؤال قمت من مكاني كمن لسعته افعى .. فتدحرجت من اسفل الى فوق . وهناك في شقة «الزعيم» قلت له هيا بنا اهبط من عليائك ..

وهبطنا معاً .. وما ان رأى سماحة الافندي «فخامة الرئيس أو الزعيم » يتقدم بخطى متعثرة متثاقلة كمن يقدم خطوة ويؤخر اخرى حتى هب من مقعده وهو يقول مرحبا : اهلا بفخامة البيك .. قالها بقوة ومرارة كالاستاذ الذي يلوم تلميذه لارتكابه أمراً إداً ..

وقام الجمع لتحية « الزعيم » الذي كان يبلع ريقه ويتمتم بعبارات غير مفهومة ومتقطعة شاكراً كعادته في مواقفه العصيبة العسيرة.

وما ان انتهيا من الطعام حتى قال « الافندي »تسمحون لو شربنا القهوة في المخدع .. فاجبت عن المدعوين « لا بأس » .

لقد كان سماحة الافندي الى ذلك الحين يعرفني معرفة

مجاملات ورسميات .. معرفة الصدفة ..
ولكنه ذهل عندما رأى مني هذا العناد والاصرار في معاكسته وفي مخالفة اوامره ونواهيه . ولكنه مع كل ما بدى مني ظل مالكاً أعصابه .. شأنه في الملمات ..
قررت ان استفز سماحته .
وبالفعل التفت الى « اوبرست » قاوقجي ونحن نحتسي القهوة وقلت له الغداء « بكرة » عندك على شرف « الزعيم » ..
وكانت مفاجأة بهت لها الجميع .. الا القاوقجي الذي استدرك وقال : انا جميعاً تحت تصرف فخامته . . ماذا يفضل « الزعيم من الطعام ؟
قلت باذنجان « مسقعة » مع الارز ..
قال من يطبخها ؟
قلت انا ..
وبالفعل طبخت الباذنجان والارز المفلفل في دارة القاوقجي واكل معنا سماحته و « الزعيم » والدكتور غروبا وقادة الرأي العربي في برلين ..
قال « الافندي » وهو يبتسم لي « انك طباخ ماهر » .
قلت بفضل حسن دعاءكم .

خلينا نكون اصحاب

وبدون ان يبدي سماحة الافندي اية حركة قال وهو يضع الملعقة على فنجان القهوة على المائدة يا استاذ خلينا نكون اصحاب !
وعندها حدجني الدكتور صبحي ابو غنيمة بنظرة فاحصة وكان لسان حاله يقول : ألم اقل لك ذلك من قبل ؟
وأجبته بايماءة من رأسي . . بلى ! ولكنني لا استطيع معه صبراً !

لقد كان عرضه انذاراوتحديالي.. فقبلت التحدي والانذار !
واخرجت رشيد عالي الكيلاني من معتقله في بيت المفتي.
وأنا لا ألوي على شيء !
وفي بيت فوزي القاوقجي أكلنا وشربنا وضحكنا ، وكأننا لسنا في حالة حرب . وكأننا في بغداد سادة الموقف .. ولسنا مهاجرين فارين نجالد ونناضل في سبيل استرجاع حقنا السليب !
وفجأة قال لي المفتي : اننا ذاهبون قريباً الى روما فهل تريد المجيء معنا ؟ قلت لا بأس .
قال ايجوك ان السنيور ملليني من وزارة الخارجية الايطالية سيتصل بك غداً ..
قلت وهو كذلك ..

مفاوضات روما

وفي مساء ذلك اليوم التاريخي مساء يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٤١ كنا في مطعم ومقهى « فيين » فيينا في الشارع الفخم كورفورستندام ، كنت اختلس النظرات مع الغيد الحسان .. وكان الدكتور محمد حجازي المقرب من « الافندي » يختلس النظرات مع الفتيان الحسان ... كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها . ورأى بعينه..
لقد كان الدكتور محمد حجازي عنيفاً في دفاعه عن المفتي. الى درجة حملته على ان يقوم بالتلاحم معي بالاكف ..
وجاء السنيور ملليني ممثل وزارة الخارجية الايطالية ومترجم اللغة العربية الخاص للكونت تشانو وزير الخارجية الفاشيستية وصهر الدوتشي موسوليني الى المقهى .. وبعد تبادل عبارات

التحية والترحيب قال لي : هل انت موافق على برنامج سماحته ..
المفاوضة في ايطاليا ؟

قلت : لا علم لي باي شيء عن هذا الموضوع .. ولم يكلمني سماحته في هذا الصدد .

قال : ستعلم التفاصيل في روما .

قلت : لا يمكنني السفر قبل استشارة الكيلاني والقاوقجي

قال : ان فخامة رشيد عالي على علم بتفاصيل المواضيع التي ستدور حولها المفاوضات. وهو سيوافق حتماً على سفرك الى روما

قلت : اذن سأستشير فوزي القاوقجي .

قال : لا لزوم فالقاوقجي لا علاقة له في هذه الشؤون .

من نتائج الرفض

قلت ان الواجب يقضي علي ان استشير صديقي القاوقجي قبل ان اقوم بأي عمل سياسي معكم .. اعني مع سماحة المفتي، خاصة وانني قد ارتبطت مع السيد الكيلاني للتعاون معه ليس على الصعيد الايطالي ... بل على الصعيد الالماني .

وبعد ان فكر ممثل الخارجية الايطالية السنيور ملليني ملياً عاد فقال :

يظهر لي من حديثك انك لا تثق بسياسة سماحة المفتي ..

قلت ارجوك الا تغالط .. انني لا اثق بسياسة الحكونت تشانو من الناحية العربية ..

قال : وما هو رأيك في سياسة المفتي ؟

قلت ان المفتي رجل عربي .. ونحن وان اختلفنا واياه في الاجتهاد وفي الاساليب المتبعة للوصول الى اهدافنا القومية ... فان مبدأ

جميع العاملين في الميادين السياسيه العربية هو مبدأ واحد .

قال: هذا كلام عام.. اعود فأكرر سؤالي ما هو رأيـــك بسياسة المفتي ؟

قلت : انني حديث عهـــد بسماحة المفتي في برلين ، وانا غير مطلع على درجة تعاونه مع ايطاليا بعد !

قال : هل تريد التعاون مع ايطاليا مثل سماحته ؟

قلت : كلا !

قال : افهم من هذا انك ترفض المجيء الى روما !

قلت : بعد الاستشارة ..

قال : وهو يعض على شفتـــه السفلى : اذن لم نتفق — اريفيديرشي ! — الى اللقاء !

ماذا كان يريد موسوليني ؟

كان الكونت تشانو منذ احتلال الجيوش الايطالية الحبشة في سنة ١٩٣٦ يسعى جاهداً لبث دعاية فاشيستية قوية في مصر وفي اليمن وفي العراق وسوريا ولبنان ... وكان نشاط الحزب الفاشيستي يتعدى النشاط الدبلوماسي . فشمل منظمات الشباب ودعوة الزعماء العرب والشباب العربي لزيارة ايطاليا ومعارضهـا ومتاحفها ومواخيرها ومراقصها ...

وفي الواقع فان الدعاية الفاشستية قـــد حملت جل الصحف العربية على نشر جل المعلومات التي يوزعها الحزب الفاشي سواء باجرة .. او بالاندفاع العاطفي .

فلقد كان جل هم موسوليني منحصراً في استغلال وجود ١٠٠ الف ايطالي فاشي في تونس وتقوية هذا الوجود بمختلف المساعدات

المـادية والادبيـة حتى صارت فرنسا نفسها تخشى قوة هؤلاء الطليان في تونس وتحسب لهم الف حساب ..

وكان المريشال بالبو حاكم ليبيا العام يحكم ليبيا حكماً مستقلاً عن روما وهو يحلم بتأسيس امبراطورية عربية افريقيـة في شمال ايطاليا يتوج نفسه امبراطوراً عليها !!

امبراطورية موسوليني

عندما امر موسوليني جيوشه بالهجوم على فرنسا في العاشر من شهر تموز ١٩٤٠ اي قبل اسبوع من انهيار فرنسا وتوقيع المريشال بيتان معاهدة المدنة ، امر موسوليني المريشال بالبو بالهجوم على الجيش الثامن البريطاني الذي كان مرابطاً في الصحراء الغربية ، فاحتل المريشال غرازياني السلوم وسيدي براني بسهولة حملت موسوليني على الاعتقاد بأنه قد صار سيد الموقف وبأنـه سيحتل مصر والسودان ويربطهما بالحبشة واريتريا والصومال ويخرج بريطانيا وفرنسا من هذا الجزء من افريقيا ليعيد تأليف امبراطورية رومانية تمتد من حدود مراكش الى حدود كينيا واوغنـدا ! ولكن موسوليني قبل ان يمد يده لتنفيذ هذه الخطة الكبرى عمد الى ازالة المريشال بالبو من طريقه فدبر مؤامرة مكنت الدوتشي من نسف طائرة بالبو بقنبلة مؤقتة انفجرت في الطائرة عندما كان مريشال الجو بالبو يقودها بنفسه وهو في طريقه لتفتيش الجيش الايطالي المنتصر في الصحراء الغربية !

وهكذا خلا الجو لموسوليني بعد ان كان المريشال بالبو اقوى منافس له في الحزب الفاشي . بل كان بعض كبار قادة الحزب يرشحون بالبو ليكون خليفة الدوتشي في الزعامة الاولى ..

ماذا اراد تشانو ؟

قصدت الدكتور غربوبا اثر انصراف السنيور ميلليني وعرضت عليه تفصيل حديثي مع مندوب الخارجية الايطالية فاجاب الوزير الالماني انت لا تعلم ان وضعنا مع ايطاليا هو مزعزع جداً فمنذ ان اعلن موسوليني الحرب على فرنسا وبريطانيا فلقد حشدنا على الحدود الايطالية جيوشاً جرارة لاحتلال ايطاليا لان أزمة سياسية بعد كارثة عسكرية كبرى ستحدث هناك

إن الكونت تشانو وزير خارجية موسوليني من الشباب الجاهل المغرور وان غروره هذا قد أثار مخاوف العرب في العراق وفي سوريا ولبنان ومصر على الاخص، ان سياسة المحور قائمة على تبادل المصالح المشتركة الداخلة في مجاله الحيوي .. ولكن سياسة الكونت تشانو تقوم على التوسع في افريقيا الشمالية من ليبيا غرباً الى تونس فالجزائر !

المغرب العربي بين موسوليني وفرانكو

ان مسايرة السياسة الايطالية الفاشية كان معناه في ذلك الوقت العصيب مشجعاً للتوسع الذي كان ينويه ويرغب به الكونت تشانو ويحث عليه حموه موسوليني ..

ان شروط الهدنة الالمانية الفرنسية تقضي بعدم التدخل في شأن البلاد الخاضعة للنفوذ الفرنسي سواء أكانت تلك البلاد مستعمرة او داخلة ضمن نطاق الحماية والوصاية ..

ولكن موسوليني ما كان يهمه الا نشر سلطانه بكل وسائل الدعاية والاغراء وبالقوة ..

أفلم يهجم على فرنسا عندما رأى جيوشها تتساقط وحدات

وافرادا تحت ضغط قوات الرايخ ؟ ثم هاجم الجيش البريطاني الثامن في الصحراء الغربية ..

وهجم على البانيا فاحتلها بعد فرار الملك احمد زوغو !!

ان أهم احلام الدوتشي كانت احتلال تونس والجزائر . والسياح للجنرال فرانكو احتلال مراكش باقسامها الثلاث . . !

وقد برهن المحور بعد تسليم فرنسا على صحة ما تقول، فلقد سمح هتلر لفرانكو ان يحتل طنجة ويضمها الى المنطقة الخليفية من مراكش

وقد اكد لي الدكتور غروبا عندما جاء الصديق احمد بلفريج الامين العام لحزب الاستقلال المراكشي ليفاوض الالمان في شأن مصير بلاده مراكش وبلاد المغرب العربي، بان مفاوضات سرية تدور في ذلك الوقت بالذات بين هتلر وفرانكو في شأن مراكش.

دور عبد الرحمن ياسين!

كان يعمل معنا شاب تونسي اديب في الاذاعه العربية ببولين ثم اصبح رئيساً لقسم الاذاعة الخاصة بالمغرب العربي وهي ساعة واحدة في اليوم الواحد .

وكان الشاب دكتورا في الحقوق وهو يجيد اللغة الفرنسية والاسبانية والايطالية والالمانية ، وكان قد فر مع من فروا الى اسبانيا عند اعلان فرنسا الحرب على المحور ، وبالرغم عن مرح عبد الرحمن ياسين وزهوه وعربدته . . وكونه زير نساء لا يضاهى : فلقد كان في الامور السياسية المتعلقة بالمغرب العربي متكتما للغاية ! يتهرب من الاسئلة ولا يتحدث الا في شؤون النساء الجميلات والاوانس اللواتي كن يفدن على داره الخاصة بالعشرات !

لقد كان « مراد » اللقب الذي كان يعمل بأسمه الدكتور

عبد الرحمن ياسين ، متزوجا بسيدة المانية له منها ثلاثة اولاد . ولكنه تركها في فيلا جميلة في ضاحية « فيزيني » مـن ضواحي باريس ، واستأجر شقة أرضية « غارسونير » وفرشها على الطراز المغربي ، وراح يستقبل فيها محظياته اللواتي كثيراً ما اشركني معه في حفلات ليلية حمراء على الطريقة الفرنسية المسماة - بارتوس — أي ان اكثر من ثلاثة ازواج من الرجال والنساء يتركون الملابس جانباً .. فيشربون ويرقصون عرايا. وتنار الغرفة والقاعة بالشموع الحمراء .. وعندما يحمى وطيس القصف والمرح ، يبـــدأ دور اللذة والاشباع الجنسي !

التبادل بالنوع

ثم يعطي « مراد » الاشارة بان تطفأ الشموع وتبقى شمعة صغيرة تطل على الحفل من بعيد وهي تلقي عليه شعاعات باهتة تتراقص حول نفسها .. وبعد ان يقضي الواحد وطره من واحدة. يربت بكفه على ظهر جاره .. ثم يتسلم منه الثانية فـــالثالثة .. وهكذا دواليك الى ان يتهالك الجميع بعد ان خارت قواهم .. ويبقى الكل في ذهول عجيب وهم ينظرون الى بعضهم بعضـــاً وكأننا لا نرى شيئاً . ولا نستهدف رؤية شيء !

ان حفلات — بارتوس - هذه حفلات اخترعت في باريس في عهد « رينيساس » النهضة الاولى التي شملت فرنسا وايطاليا بعد ان ترفه الناس وعم الرخاء فكان من نتيجة هذه المظاهر الغلو في الاشباع الجنسي .. وصار الواحد لا يكتفي بواحدة !

وهكذا تفتقت حيلة الانسان الفاجر عن مثل هذه الحفلات التي احيا عهدها « مراد » الداعر في برلين ..

كنت اسمع عن حفلات - بارتوس - هذه .. ومع انني سمعت عنها الروايات والاقاصيص غير ان الفرص لم تتح لي .. دخول حلبة سباق انساني . كهذه الا في برلين.. وفي ايام الحرب التي كانت تثير الاعصاب وتهيج الشعور الى درجة الغليان.. ومهما تمادى المرء في الانغماس في المباذل فانه يبقى متوتر العاطفة ! يطلب المزيد من الاشباع الجنسي !

ان عملية التبادل بالنوع ، أي انك تتبادل مع رفيقتك « رفيقة الصدفة » رفيقك الاخر ، تحتاج بواقع الامر الى اعصاب فولاذية ، فان حب التملك الوقتي في حالات كهذه ، تجعل الغيرة والعوامل الاخرى التي يختلج بها قلب الشرقي على الاخص تحثه على التمسك بما هو كائن في حوزته .. ولا تسمح له نفسه ان يلقي بيده بفتاته التي اختارها قبل بدء الحفلة واطفاء الشموع من بين الجميع ! بين احضان الاخرين .

شوعة الغاب

ان الحيوان في الغاب اذا هوجمت انثاه المصطفاة يثور ويهب للدفاع عنها ، فهي تخصه ، فكيف الانسان الشرقي .. ولا اقول الغربي فلقد فقد الغربي منذ القرن السابع عشر هذه العواطف التي نبشر بها نحن العرب وسوانا من الاقوام الشرقية فالفضيلة والشرف والطهر والعفاف والعفة والاخلاص قد صارت عند جل الغربيين مخلفات عصور قديمة لاوجود لها الا في قواميس اللغة .

ان تلك النسوة اللواتي تنقلن بين احضاننا في شقة مراد ببرلين لم يكن الا موظفات «شريفات» من موظفات وزارة الدعاية

والخارجية والاذاعة ..

ولم تكن بينهن واحدة من بنات الهوى اللواتي يستجدين بشلين ...

فلقد كان حالهن مثل حالنا تماما .. فلقد كن مثلنا ينشدن الهوى .. ويجربن نوعا جديـدا من الغرام المباح في وقت عز على المرأة ان تلقى رجلا واحدا في كل عام .. فكيف بها وهي ترى امامها خمسة رجال اقوياء اشداء من مغاربة ومشارقة فحول .. لايميلون لاستعمال الميوعة في الغرام بالتمليس .. والتمسيح . بل بالعنف والاندفاع .

لقد نبهنا مراد قبل ان تبدأ الحفلة بان الرجل الذي يغضب او يمانع في تقديم صاحبته الى الثاني فانه يطرد عاويا الى الشارع .. وكانت الثلوج الكثيفة تكتنف برلين في تلك الليلة التاريخية التي فتحنا فيها حصون عاصمة الرايخ الثالث ..

همزة وصل

كان «مراد» كثير التنقل بين عواصم الغرب والمغرب .. فكان يطير يوما الى باريس يبحث في مكاتب محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية في «الكي دورسي» عن اوراق ووثائق خاصة حملها معه قبل انهيار المانيا بثلاثة اشهر ونقلها الى مدريد حيث كانت لديه فيها شقة اخرى كان يصفها بأنها اجمل من شقته الكائنة في شارع «نص باوم آلي» بقرب ميدان اودولف هتلر بلاتس ببرلين .

وكان يطير الى مدريد يحمل معه «كوريي» بريد سياسي خاص ، وكان يقابل الجنرال فرانكو وهتلر وريبنتروب وغوبلز .. ويخاطب هملر تلفونيا ليلقى القبض على فلان .. او يحتجز في

باريس علان . . او ان شخصا غير مرغوب فيه قادم من جهة ما الى برلين وهو يحذر من وجوده ويرجو اعادته من حيث اتى . .

لقد كان الصديق عبد الرحمن ياسين حركة دائبة ولكنها حركة مباركة . ويكفيه بركة انه علمنا اسرار وحفلات ـ بارتوش ـ الباريسية الممتعة .

مهمات خطيرة

يقينا ان «مراد» كان يتمتع بمال وفير ، فلم يكن له عندنا في الاذاعة العربية اي راتب معين . . بل كانت لديه اموالا ضخمة في بنك الرايخ او فروعه ـ كارت بلانش ـ يستطيع ان يضع على الصك اي رقم يشاء !

ولكن حياته كانت في خطر دائم . . فجواسيس الحلفاء كانوا موجودين في كل مكان . . بل وفي كل مصلحة المانية . . وكان يعلم مثلي بأننا معرضان للاخطار الداهمة . . ولكننا مع ذلك استسلمنا للقدر مع الحذر الشديد . .

كان مراد الذي صار لولب المباحثات التي دارت بين المانيا واسبانيا في خصوص السماح للجنرال فرانكو باحتلال مراكش باقسامها الثلاثة ، لحمل فرانكو على اعلان الحرب على بريطانيا واحتلال جبل طارق والقاء مايتبقى من الاسطول البريطاني في البحر !

وبهذه الوسيلة تنضم اسبانيا الى المحور . . وتبسط المانيا نفوذها على البحر الابيض المتوسط !

ولكن مراد كان داهية دهماء فلقد لعب الدور الرئيسي لاحباط هذا المشروع وحذر فرانكو من نيات هتلر ، مؤكداً له ان البقاء على الحياد هو انسب وسيلة للاستفادة من الحرب .

لقد كان فرانكو يعلم أهمية حدثه على الصعيدين العربي والالماني .. فراد كان متصلا بالسلطان وبخليفته في تطوان الامير مولاي الحسن بن مهدي وبباي تونس ، الشهيد المنصف باي ! ومن اجل ذلك وثق به .. واحبط المشروع ..

جواسيس بريطانيا واميركا

أشرت في سياق الحديث آنفا عن الخطر الداهم الذي كان يهدد حياتنا في كل لحظة وأنا ادير هذا الجهاز الضخم في الاذاعة العربية في برلين..

لقد كانت المسؤوليات الملقاة على عاتقي صعبة ضخمة ... فقد كنت مطلعاً على أسرار الوضع الداخلي والخارجي في المانيا الكبرى وفي اوروبا ، وكنت بحكم علاقاتي الواسعة النطاق مع رجالات وزعماء وملوك ورؤساء العرب والشرق بأقسامه الثلاثة : الادنى والاوسط والاقصى ! ناهيك عن معرفتي التامة بماجريات الاحوال في المغرب العربي ..

كل هذه المعلومات تفيد في السياستين السلمية والحربية ، ففي استطاعتي وانا في موقفي ببرلين ان أحطم اكبر رأس في العالم وأفضحه وأجعله حديث المجالس والتندر والتفكه .. او بالعكس اصنع منه قديساً يصلى على اذياله ، ولا يذكر اسمه الا بالحمد والتقدير والشكر !

واكوفسكي اولا ..

كان الهر واكوفسكي احد كبار رجال وزارة الخارجية الالمانية قد اعيرت خدماته الى المكتب العربي الذي يديره الصديق الاستاذ الكبير عفيف الطيبي في شارع (فرانسوازش شتراسه) هو المشرف على توزيع بطاقات المواد الغذائية علينا وعلى المكتب

العربي التابع للكيلاني ، والمكتب العربي التابع للمفتي وكنت بحكم عملي وانا على رأس الاذاعة العربية من قبل،والمكتب العربي التابع للكيلاني من بعد على اتصال دائم ووثيق بالمر راكوفسكي وسكرتيرته السويدية « فراولاين هول » حتى انها صارت عشيقتي قبل ان تتزوج في نهاية عام ١٩٤٤ وبقيت اطارحها الغرام زهاء عام ونصف عام ..

وكان المر راكوفسكي رجلا مؤدباً كيساً .. استطاع ان يبقى على الحياد في الصراع القائم بين رشيد عالي الكيلاني وبين المفتي الحاج امين الحسيني ..

كان يدخل المكاتب العربية الثلاثة ويخرج وكأنه في داره.. ويأكل ويشرب معنا ويجالس نساءنا ويداعب صويحباتنا .. الى درجة انه هو الذي مهد لي الطريق لمعاشرة فراولاين هول سكرتيرته الجميلة ..

وفي منزلي كان راكوفسكي يطبخ ويشرب الويسكي والشمبانيا وينام ويأتي بخليلاته فيقضي الليل كله في غرفة خصصتها له .. وأعطيته مفتاح المنزل يستعمله انى شاء ومتى أراد ...

البيت بيته !! واي فرق بين الاخوان والاصدقاء !

برودر شافت !

لقد تآخيت مع راكوفسكي بعد خصام عنيف دام زهاء سنة كاملة اختتمتها بان هجمنا عليه في المكتب العربي المستقل وهو في مكتبه وأشبعناه ضرباً وشتما .. وكان يصحبني المرحوم السيد عبد المطلب السيـــد يحيى امين صندوق السيد رشيد الكيلاني

الخاص بالعراقيين .. والدكتور محمود الامين عالم الآثار العراقي ومفسر الرسائل الصخرية لسرغون ونبوخذ نصر.. ومحي الدين ابو الخطاب .. نسل الاكرمين وآثار شرح اللباد على متن الحصير !

هجمنا على راكوفسكي لانه كان يمالىء « الماجور » الرئيس الاول محمد سليمان وحكمت سامي ضدي وكانا موجودين في المكتب العربي المستقل في ساعة الهجوم على الطريقة المتابرية !

ولكنني لم أفعل معهما اي شيء بل صببت على رأسيهما سيلا من الشتائم والمسبات وصلت الى اجداد اجدادهما المساكين الذين اصابهم من أحفادهم الاشرار - لوقت قصير فقط . هذه الصفات التي ما كانوا يستحقونها ! وبعد ان اشبعتهما لعناً اغلقت عليهما الباب وأخذت المفتاح !

وبعد ايام صلح الحال اذ دعانا الاخ فوزي القاووقجي الى حفلة عشاء ساهرة صاخبة سكبنا فيها العبرات .. عبرات الويسكي « سكوتش الاصلية » من بلاد البريطان !

اعتذرت بعدها للهر راكوفسكي عما بدرمني .. وقلت له عفا الله عما سلف ...

فما كان منه الا ان اغرورقت عيناه بالدموع .. فهو شرقي الدم .. مثلنا .. اذ قال لي انه الماني ولكن اصله بولندي !

قلت أهلا بابن العم .. ان الشرق والغرب لا يلتقيان .. أما وانك من شرقنا العزيز فسنكون بعد الان شرقاً واحـــداً .. يعني اننا اخوان واصدقاء لك ما علينا ولنا ما عليك !

وهنا لم يتمالك نفسه من شدة التأثر وقال لي لنشرب كأس الاخوة « برودر شافت » ؟

اخي راكوفسكي !

ومرت الايام والاشهر والسنين سراعاً.. وكلما اعود الى برلين من المنفى.. او من الرحلات السياسية التي صرت اقوم بها منذ مطلع عام ١٩٤٣ بجواز سفر ديبلوماسي وبرتبة وزير «الرجاء عدم الضحك والاستخفاف» أفلست مديراً للمكتب العربي يعني رئيس وزارة رئيس الدولة القادرية الكيلانية رشيد عالي الكيلاني في المهجر.. في برلين التي صارت ام العجائب والغرائب.. بل ام الدنيا !

في شهر مارس ١٩٤٥ عندما نقلنا اذاعة «العرب الاحرار» من برلين الى مدينة هيلم شتات المكشوفة باعتبارها مدينة مستشفيات بموافقة الصليب الاحمر الدولي. زارني المر راكوفسكي في منزلي ببرلين وقال لي وهو مكفهر الوجه بادي الاضطراب ! هل تمنحني ثقتك يا أخ يونس ؟

لقد كان يغالب نفسه وهو يتحدث الي كأن شيئاً ظاهراً يخيفه مني !

قلت أنسيت يا اخ راكوفسكي اننا اصبحنا اخوان منذ ان شربنا كأس الاخوة «برودر شافت» في منزل «اوبرست قاوقجي» ؟

قال نعم اذكر.. ولكني اخاف ان تتهمني بالخيانة ونكران الجميل.. لقد كنت معي بعد خصامنا الاول اكثر من اخ شقيق !

قلت : رب أخ لم تلده امك !

وهنا قبلني راكوفسكي وضمني الى صدره قائلا :

— لقد خسرت المانيا الحرب.. وقد فكرت في مصيرك انت.. انك صاحب الرقم الرابع في قائمة المجرمين العرب في الحرب !

واخرج من جيبه اوراقاً طبع عليها بالالة الكاتبة ٦٤ اسماً من اسماء العرب الذين اعتبرهم الحلفاء « مجرمي حرب »

قال راكوفسكي بهدوء وكأنه يهمس همساً.. أتدري من انا؟
ذهلت وانا احدق بوجهه .. لقد انحبست العبارات في فمي.
وكأنني امام قاض سيحكم علي بالاعدام !!
— قال : هون عليك !!

قنصل اميركي عام !

قلت هيا افصح .. هيا تكلم !! من انت ؟
قال انني (اميركي) وبرتبة قنصل عام ..
لم أتمالك نفسي وانا امسك بكأس الويسكي من ان ادع الكأس يسقط من يدي .. وان اهب واقفاً ورجلي حافية لادوس شظايا الكأس وتدفق الدم يسيل من الكعب والأخمص !
ابتسم راكوفسكي وهو ينفث دخان سيغارته بهدوء .. ويتزمز كأس الويسكي ثم قال لنداو جرحك المزمن يا يونس بجري .. وبعدئذ نتكلم !!
قلت أتتحداني ؟ ان روحك بيدي الان .. ومددت يدي الى سماعة التلفون !!
قال وهو يبتسم ايضاً وبغرور ارسل الدم الى رأسي كالمنجنيق !! انك تحبني .. انك لن تقدم على الوشاية بي ..
وعندها استجمعت قواي ونظرت اليه ، فرأيته واثقاً من نفسه ، وهو ينظر الي بحنان الصديق عند الضيق !
قلت : انني تحت تصرفك ياصديقي واخي مرني وانا رهن اشارتك.
قال لا شيء ابداً .. انني اريد الى اخدمك الخدمة الاخيرة ..
اريد أن انقذك !
قلت كيف ؟

قال : سأعطيك شهادة «سوف كوندويت» اي شهادة «حسن السلوك» السياسي طبعاً !!

ثم قال ماذا تريد ان اسميك !

يونس الجبوري !.. ودكتور

وبعد ان تفاوضنا في التسمية.. تسميتي انا من جديد تم الاتفاق فيما بيننا على ان يكتب اسمي على شهادة حسن السلوك الاميركية الموقعة من قبل قنصل اميركا العام في برلين المستر راكوفسكي اسمه الصحيح الصريح . على ان أغادر برلين غرباً الى الجبهة الاميركية متحاشياً الجبهتين الفرنسية عبر الراين.. والبريطانية عبر هولندا والبلجيك وان اقصد بعدئذ باريس..

وعندما اتصل بالقوات الاميركية، جيش الجنرال باتن يكفيني ان ابرز شهادتي الاميركية هذه لاختراق الحواجز العسكرية الطويلة العريضة !!

وزيادة في الاحتياط قال لي المستر راكوفسكي ان اسمك من الان فصاعداً «يونس الجبوري» من رعايا الجمهورية السورية !

قلت له وانا ابتسم بألم.. ارجوك ان تضيف كلمة دكتور الى الاسم !

قال وهو كذلك: الدكتور يونس الجبوري من قبيلة الجبور.. جبور سوريا في الحسكة .. وهو من ابنـــاء عمومة مسلط باشا خليفة سلطان جبر الذي حكم القطاع الكائن بين دجلة والفرات في ايام زمانك ! وهو جدنا ولا فخر !

ممثل دولة الاسلام الهندية

انني قبل ان انام في كل ليلة اصلي من اجل اخي راكوفسكي .. الرجل الذي اعتديت عليه واهنته وهو في اوج مجده فساعدني

وانقذني من الموت المحتم .. لقد ارسلته العناية الالهية ليلعب دوره الحاسم في اتاحته لي هذه الفرصة الغالية الثمينة لاتحدث الى قراء سلسلة مذكراتي « هنا برلين .. حي العرب » فلولاه لما استطعت ان احيي العرب .. وان اواصل كتابة هذه الحقائق التاريخية لتوصل ماضي العرب بحاضرهم الذي صار مليئا بحركات النضال والتحرير .. ليعرف العرب حقائق الماضي يقارنونها بين حاضرهم استعداداً للمستقبل الزاخر بالملمات والاحداث ..

كان يشتغل معنا في الاذاعة العربية رجل هندي مسلم اسمه حميد خان .. وكان رجلا قصيراً ممتلىء الجسم صحة وعافية يبدو كالثور عندما يمشي .. لقد كان استاذاً بارعاً باللغة العربيـة .. يستطيع ان يقول لسيبويه قم لاجلس بمطرحك !.

كان حميد خان يعمل في رومـــا في الاذاعة باللغة العربية !

ولما قرر المجيء الى برلين اخذ كتاب توصية من صديقي واخي الزعيم الباكستاني محمد اقبال شذائي رئيس الدولة الاسلامية الهندية في المهجر بروما .. وصديق الاستاذ اميل الخوري !

وكان لا بد ان اقبل كتاب التوصية من صديقي واخي محمد اقبال شذائي .. فهو استاذي الحبيب الذي لا يرد له طلب .

وجاء حميد خان الى برلين .. وكلفته بمهمة مراقبة المناهج !

وفي الواقع فلقد بذل نور عينيه رخيصاً لهذا العمل المضني الشاق وهو كهل تجاوز العقد الخامس من العمر ولكنه واصل العمل بهمة الشباب الوثاب الذي لا يهن ولا يتعب !

جاسوس بريطاني كبير

صار حميد خان الرجل الاول في اذاعتنا العربية .. اذ لم اعد

استطع عمل شيء الا برأيه ! ماذا تقول في هذا الموضوع يا ايها الاخ حميد؟
ان رأيي في هذا الموضوع لا يتفق والمصلحة المشتركة ..
فلماذا لا نذيعه على الصورة التالية !
لقد كان الرجل ، رجل براعة واستهلال ، يعرف كيف يوجه .. يعرف ماذا يريد !
وبعد مضي ثلاثة اعوام على عملي معه .. وبعبارة أصح عمله معي .. سيان لقد اختلط الحابل بالنابل في خاتمة المطاف .. دعوته الى منزلي في شهر مارس ١٩٤٥ وكان ذلك بعد ان اخذت شهادة «سوف كوندويت» من القنصل العام في برلين المستر راكوفسكي!
لقد شعرت من حركات حميد خان وسكناته بأنه من الطرف الاخر .. وان كان يراوغ .. وفي منزلي قلت له يا حميد .. لقد خسرنا الحرب ونحن امام مشكلة صعبة .. فكيف الخلاص ؟
فقال وهو يبلع ريقه بصعوبة !
ـ يا استاذ يونس سلم نفسك للبريطانيين ! وسترى كيف انهم سيعاملونك بشرف !
قلت : وكيف تعلم ذلك ؟
وبدون ان ترمش له عين قال لي : انك من العناصر الطيبة يا سيد يونس وانا على استعداد لخدمتك !! قلت من انت ؟ فلم يجب ؟؟

ضابط بريطاني

سكت حميد خان ولم يرد على سؤالي بحرف واحد ..
ولما دخل الروس برلين واحتلوا قطاع الكسندربلاتس في برلين .. جاء حميد خان وهو يختال ببزة كابتن في الجيش البريطاني !
وراح يفاوض الضباط الروس في مكتب الاذاعة العربية .

وعندها تسللت من المكتب الى خارج دار الاذاعة بعد ان رايت صاحبي حميد خان يحمل رتبة رئيس عسكري بريطاني ويفاوض باسم جلالته البريطانية !

ومن يومها لم أرَ حميد خان الرجل الذي عمل معنا ، وعاشرنا وعرف اسرارنا وخفايانا في السراء والضراء !

لقد كان يحضر معي الى وزارة الدعاية لاتفاهم مع هانز فريتشه على تعليق اليوم السياسي !

وكان يحضر معي الى رئاسة صحافة الرايخ حيث كنت أبحث مع الدكتور اوتو ديتريش في موضوع الساعة !

كان من واجبي ان اطلعه على كل شيء .. فلقد كان المعيا واصمعيا الى درجة متناهية .. ولو رآه الاخ عبد الجبار جو مرد الدكتور والشاعر الاديب والفيلسوف والنائب العراقي الاصمعي الموصلي مع حفظ الالقاب .. لامسك بتلابيبه ولاقتاده اليه وهو يردد قول الشاعر العربي الفحل ... تعالى اقاسمك الهموم تعالى !

ثالثة الاثافي !

كانت الجمعية الاسلامية في برلين بعد النادي العربي من اهم المشاغل التي تشغل بال العرب والمسلمين في المانيا لانها كانت جمعية ذات اثر فعال في توجيه التلامذة المسلمين والعرب في المانيا .

وكانت تتمتع بحقوق وامتيازات ضخمة منها اعانة الطلبة غير الرسميين من الذين يفدون على برلين للدراسة على حسابهم .. ومنحهم مصاريف خاصة تساعدهم على مواصلة الدروس والسكن .. والحياة برفاه التلميذ المعتدل !

وكان جامع برلين مركز نشاط الحركة الاسلامية ..

وكان حبيب الرحمان الهندي المسلم رأس الحكمة في برلين !
ورأس الحكمة فيها .. مخافة الله !

فلقد كان حبيب الرحمان كل شيء في الجمعية الاسلامية ..
وفي جامع برلين ..

لقد صار مديراً لمكتب سبحان شندرا بوزا رئيس دولة الهند
في المهجر .. في برلين !

وصار مديراً للاذاعة الهندية من برلين !

وصار كل شيء .. وهو لم يفعل شيئاً ..

لقد اتته الوزارة منقادة وهي تجرجر أذيالها !!

كان حبيب الرحمن صديقي وهو يقلد حركات الحيوانات التي عايشها في الهند .. وكان ينافس الدكتور كمال الدين جلال مراسل الاهرام القاهرية في برلين .. والدكتور عبد الحليم النجار مندوب الازهر الشريف في منصب الرئاسة .

لقد خذلهم جميعاً .. وصار رئيساً للجمعية الاسلامية !!

والسر في هذا نصرة المستر سبحان تشندرا بوزا رئيس الحكومة الهندية المؤقتة في برلين له ! بوصف كونه السكرتير الخاص لمكتبه .. اي رئيس وزراء الهند في برلين !!

وبعد الحرب ؟

لقد صار حبيب الرحمان بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها مديراً عاماً لدعاية حكومة الهند بعد أن تألفت في ١٥ اغسطس ١٩٤٧ .. وصار الرجل الذي يتكلم باسم غاندي ونهرو بعد أن كان يتكلم باسم السيد محمد اقبال شذائي رئيس حكومة الهند المسلمة من ايطاليا ! وباسم حكومة الهند الصميمية

الهندوكية من برلين باسم مبحان تشندرا بوزا .

ان الانقلاب عجيب وغريب .. ان الانقلاب يشير الى الخطة المرسومة الموضوعة .. وهي ان الجاسوسية البريطانية «انتليجانس سرفيس» كانت تعرف كيف تضع الامور في نصابها سلفاً ومع حسن ترتيب واحكام !

وكان رجالها المختارون يستهدفون الاخطار والاهوال عن طيب خاطر ، لا يهمهم القتل أو الحبس او التعذيب بقدر ما يهمهم الوصول الى النتيجة الحاسمة .

لقد عايشتهم جميعاً وانا مؤمن باخلاصهم وطهارتهم ! وماذا كانت النتيجة ؟

لقد كانوا جواسيساً علي !

لقد كانوا يسجلون حركاتي وسكناتي ، ولكنني لا ادري لماذا لم يقضوا علي !! ولماذا تركوني سائباً أفلت من أذاهم .. لاكون بعد الحرب .. حرباً عليهم ؟

مع هتلر .. في الحكم النازي !

كيف حكم هتلر المانيا ؟

١٣ سنة في الحكم ..

النازية تقود دولة الرايخ

اعطوني اربعة اعوام !

عندما تسلم «الزعيم» هتلر الحكم في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣، القى خطابه التاريخي المشهور امام الفيلد ماريشال هندنبورغ، مستشار الجمهورية الالمانيــة الذي سلمه مقاليد الحكم في فندق «كايزرهوف الفخم» ببرلين، قال فيه هتلر :

ــ اعطوني «اربعة اعوام» لاعيد لكم خلق المانيا خلقــاً جديداً يحفظ لها مكانتها تحت الشمس !!

وفي الواقع فان هتلر وفى ما عاهد به الشعب الالماني وزيادة...

ولا بد لي وانا ابحث هنا وجهة نظري في «الزعيم» هتلر وفي تاريخ الحكم النازي «مدنياً وعسكرياً» ان اقرر بان الكثيرين من ابناء الشعب الالماني والعالم الخارجي قد ظنوا أو تخيلوا بان «هتلراً» انما كان يرجم بالغيب.. وانه كان يعبث في القول، لمجرد حبه تسنم «عرش» مستشارية الرايخ الالماني الثالث !

لقد سمعت الكثيرين من الالمانيين الكبار في ذلك التاريخ يقولون باستغراب ودهشة : كيف يمكن لهتلر ان يعيد خلق المانيا المضعضعة المنهوكة القوى، المانيا التي سقطت عملتها النقــدية الى

الحضيض في البورصات الدولية ! المانيا التي تعج بالملايين من العاطلين عن العمل ، وبالشيوعيين الذين سيطروا على مرافق العمل في الدولة، فشلوا المصانع والمعامل وعاثوا في البلاد فساداً.. ثم كيف يتسنى هتلر في خلال الاربعة اعوام التي طلبها من الشعب الالماني ان يحيي صناعة الرايخ بعدما اندثرت معالمها اثر الحرب العالمية الاولى .. وكيف ! وكيف ! وكيف يعيد بناء الجيش ؟ الى ما الى ذلك من علامات الاستفهام والاستغراب ؟

كان هتلر عند حسن الظن ..

لقد كان « الزعيم » هتلر عند حسن ظن الشعب الالماني بادىء ذي بدء.. فهو لم يكد يبدأ بالاصلاحات الداخليـة ويتغلغل في قضايا الوطن الالماني وحاجاته الوطنيـة الرئيسية الا واتضحت له معالم الطريق المستقيم ، وراح يعمل جاهداً لرفع الظلامة، ورفع الضيق .. والتحرر !

لقد سار كل شيء على ما يرام.. كل شيء يبشر بحسن العاقبة !

فلم تكد تمضي اربعة اعوام على حكم هتلر لالمانيا حتى خلق هتلر وصحابته العجائب !

لقد قضى على البطالة .. وقضى على الجوع ! ولم يعـد هناك اي انسان في المانيا كلها يشعر بالبرد او الجوع ..

لقد كان كل شيء يسير تبعاً للخطة التي رسمها هتلر في خلال الاعوام الاربعة .. التي طلبها من الشعب لحكم الشعب وصارت كافة المصانع تأتي اكلها مرتين بل مراراً عديدة واضعافاً مضاعفة.

وهكذا فان الشعب الالماني الذي بقي يعاني الفقر والفـاقة والاملاق ، والذل والمسكنة مدة طالت من ١١ تشرين الثاني ١٩١٨

الى ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ قد استرد سيادته وعاوده الامل، ورجعت اليه نشوة النجاح، فتضاعف نشاطه وزاد من جهوده وجهدها.

فكان « الزعيم » هتلر عند حسن ظن الالمانيين.. وصار مثار اعجابهم، ومبعث فخارهم!

حقق المعجزات!

في السنوات الثلاث التي اعقبت تسلم هتلر الحكم، تبين للدنيا بامرها ان هتلر لم يرد الى المانيا مقامها الاقتصادي اللائق بها بين الدول الصناعية في اوروبا فحسب بل جعلها تتفوق عليها تفوقاً بارزاً، وجعل الشعب الالماني يلتف حول «الزعيم» الباني الذي شيد صروح المجد الجرماني من جديد.. بصورة اذهلت دعاة الشيوعية الذين كانوا ولا يزالون يصبون الى اعادة بسط نفوذهم على المانيا برمتها كما فعلوا بعيد الحرب العالمية الاولى واستمروا بالعبث في مقدرات الشعب الالماني ابان جيل كامل..

لقد قطع هتلر على العناصر الهدامة والمخربة والمفسدة التي كانت تتستر وراء تعابير حديثة مثيرة مستجدة. كالتقدمية.. والسلمية.. وانصار السلام.. والاشتراكية الشعوبية.. والانسانية .. وما الى ذلك من تعابير مترادفة اجل لقد قطع هتلر على هذه العناصر خط الرجعة، فحال دون عبثها الى حيث لا رجعة.

وهكذا حرر المانيا من سيطرة الشيوعية، ومن سيطرة اليهودية العالمية، وحقق لالمانيا المعجزات!

الانعاش الاقتصادي

يقينا ان هتلر لما سلم الدكتور هيالمار شاخت مقدرات المانيا المالية والاقتصادية وعينه محافظاً لبنك الرايخ مصرف الدولة الالمانية، كان يعلم علم اليقين بأن هذا الرجل الاقتصادي العالمي يستطيع

بقدرته وعلمه ان يساير ركب النازية لاعادة بناء الرايخ ..

وبالفعل فلقد برهن الدكتور شاخت على انه ابن بجدتها ، وبأنه الرجل الذي خلق من طين المانيا طيراً .. فرفع النقد الالماني من الدرك الاسفل الذي انحدر اليه .. وساواه بأقوى نقد في العالم .. الجنيه والدولار !

لقد كان الجنيه الواحد يساوي ٤٠ الفاً من الماركات الالمانية قبل مجيء هتلر وشاخت الى الحكم ..

ولما تسلم شاخت زمام الاقتصاد الالماني في عهد هتلر جعل الجنيه الواحد يساوي عشرة ماركات !

حذف الدكتور شاخت ستة اصفار قاتلة كانت تقف الى يمين الماركات العشرة فثبت النقد الالماني واعاد اليه الاحترام العالمي ..

ثم لنأخذ مثلاً الانتعاش الاقتصادي الهائل الذي وضع اسسه الدكتور شاخت للرايخ الثالث الهتلري : كانت ميزانية الصناعة الالمانية في سنة ١٩٣٣ تبلغ ٣ مليارات من الماركات .. فأبلغها الدكتور شاخت في سنة ١٩٣٦ ، اي بعد مضي ثلاث سنوات على تسلم هتلر الحكم ، كما طلب في اول عهده ١٦،٥ ملياراً من الماركات ! أي انها ازدادت ونمت الى خمسة اضعاف عما كانت عليه قبل ان قادت النازية الدولة !

الاستسلام الاجماعي

ان هذا البناء الاقتصادي والصناعي الجديد في الرايخ الثالث انما يفسر حقيقة واحدة وهي ان الفرد الالماني الذي انصاع لمشيئة هتلر ، ومشى في ركاب « النازية » طائعاً مختاراً ، قد صار نصيراً ومؤيداً لها .. بل صار جزءاً من هذا الجهاز الضخم الجبار . وان العامل الالماني الذي لم ينخرط في سلك الحزب النازي قد اصبح من تلقاء نفسه آلة في يد القيادة النازية تسيرها كما تشاء .. وتحدد

لها « الانتاج » الذي تريد !

والحق فان هتلر في خلال السنوات الاربع التي طلبها للعمل يوم ان تسلم الحكم لم يشغل العمال على حساب الطبقات الاخرى، بل على حساب الدولة ، التي لم تكن في الواقع الا «النازية» النازية التي شجعها الاستسلام الاجماعي الذي قابلها به الشعب الالماني ، فاحسنت العمل بادىء ذي بدء .. ووفرت للعمال حياة افضل من ذي قبل ، ومستوى ارفع !

ما هو هدف الثورة النازية ؟

في الثلاثين من شهر كانون الثاني ١٩٣٧ أي بعد مضي « الاربعة اعوام » التي كان هتلر قد طلبها من الشعب الالماني في مثل هذا اليوم ساعة تسلمه قيادة الشعب الالماني «نازياً» وقف «الفوهرر» في اوبرا كرول ببرلين فخطب امام الرايخشتاغ «البرلمان» ومما قاله :

— لم يكن هدف النازية ابداً ، ان تسلب من كل ذي حق حقه ، بل لتعيد الى مسلوب الحق حقه !

ولم ترم الثورة النازية مطلقاً الى ان تجعل السلطة في يد طبقة معينة في الشعب الالماني وتحرم طبقة اخرى .. كلا ! انما هدفها الاول والاخير والوحيد هو ان تدع الشعب الالماني بأسره يحيا حياة اقتصادية واجتماعية وسياسية افضل من حياته قبل الثورة النازية !!

يقيناً ان هتلر بكلامه هذا قد حدد اهداف النازية كما وصفها هو قولا وعملا ولكن في اول عهده بالحكم ، او بعبارة اصح في خلال السنوات الاربع التي طلبها من الشعب الالماني لتحقيق اهداف النازية ، لا اهداف الشعب الالماني .

اجل لقد ارجع هتلر الى المانيا المسلوبة الحق حقها كاملا غير منقوص .. ابان تلك السنوات الاربع : فاسترد اقليم «السار»

واقليم « الروهر » والغى معاهدة فرساي وحرر المانيا من القيود التي كانت مفروضة عليها ..

المستعمرات الالمانية

فلو بقي هتلر ضمن نطاق الحق الالماني داخل حدود الرايخ وتصرف في سياسته الوطنية تصرفا داخليا لما استفزت النازية الدول الكبرى ، وغيرها من الدول الصغيرة التي تربطها بالمانيا روابط الجيرة والتبادل الاقتصادي .. فما ان تم للنازية ما ارادت من استعادة حق المانيا المسلوب، التفت هتلر فجأة وبدون سابق انذار الى حق الاخرين يريد ان يضمه تحت تصرفه بدون قيد او شرط !

وهذا ما اثار حفيظة الاخرين ، وايقظ مخاوف اصحاب ذلك الحق .. وحلفائهم !

ان هتلر كان ينظر الى سيطرة زميله موسوليني زعيم الفاشيستية الايطالية على ليبيا وعلى اريتيريا والصومال اولا ثم استيلائه بالقوة والقسر على الحبشة رغم انف عصبة الامم ، نظرة ملؤها الغيرة والحسد. فلماذا لا يكون لالمانيا النازية مستعمرات تدر عليها الخيرات والمواد الخام مثل زميلتها الفاشيستية ؟

كان هتلر يعتقد بأن المانيا التي استردت لها النازية حقها الداخلي يجب ان تسترد — حقها — في الخارج فتمنح «مجالا حيويا» يساعد طاقتها الصناعية لزيادة وتحسين الانتاج ! فاذا كانت الدول الكبرى المستعمرة لا تريد ان تمنح المانيا الجديدة مستعمرات جديدة ، فعلى الاقل تسمح بأن تعيد اليها المستعمرات الالمانية القديمة في افريقيا — توغو وداهومي — الموضوعتين اليوم تحت وصاية الامم المتحدة وكذلك «موزامبيق» التي الحقت بالاستعمار البرتغالي .. وقد صرح هتلر للجنرال ديتر فون ايب الحاكم الالماني السابق على

المستعمرات الالمانية في افريقيا في سنة ١٩٣٦ .يوم ان احتل موسوليني الحبشة قائلا : لماذا يكون للفاشيستية مستعمرات ولا تكون للنازية مستعمراتها القديمة في افريقيا ؟ اما مستعمراتنا في المحيط الاوقيانوسي فلا نريدها الان !!

ما هو مجال النازية الحيوي ؟

ليبنس راوم ! اي المجال الحيوي ، فكرة مستحدثة ابتدعتها النازية وبشرت بها بين مختلف طبقات الشعب الالماني ، ودعت الى تحقيقه وزارة دعاية الرايخ الثالث بكل ما اوتيت من حول وقوة.

لقد حرصت على معرفة ماهية «ليبنس راوم» المجال الحيوي النازي ، فطلبت حديثا من الدكتور غوبلز للاذاعة العربية من برلين ، فبعث الي بمقال فسر فيه حقيقة هذا المجال الحيوي اذعته في يوم ١ شباط ١٩٤٠ من الاذاعة العربية ببرلين على الساعة السابعة مساء وهذا نصه :

ـ اذا بلغ شعب درجة معينة من الحضارة ، وأحاطت به ظروف سياسية خاصة .. فانه يصير مضطراً الى تعديل علاقاته بالامم التي تجاوره والعمل بما يقتضيه ذلك التعديل . وقد تكون تلك العلاقات علاقات سياسية ، او قد تكون علاقات اقتصادية وثقافية ، وقد تكون كل ذلك معا ، ولكنها على كل حال علاقات طبيعية يفرضها الجوار غالباً وتحتمها المصالح المشتركة .

فالشعور بالحاجة الى ذلك التعديل هو ما نسميه اليوم «بالمجال الحيوي» للوطنية الاشتراكية الالمانية النازية او الان وقد انتبه الشعب الالماني الى مجاله الحيوي فقد اصبح يغار عليه ويدافع عنه ، كما يغار على وطنه ، ويدافع عن قومه ، غير انها غيرة ليست كغيرة الاستعمار .. ودفاع غير دفاع المستعمرين عن مستعمراتهم المركزة فيها مصالحهم ..

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

علاقة المجال الحيوي

لقد فسر الدكتور غوبلز علاقة المجال الحيوي بالنازية بأنها علاقة تأخذ وتعطي .. اما الاستعمار فهو يأخذ ولا يعطي ! فالاستعمار تملك واستغلال ، وعلاقة المجال الحيوي تجاور وتعاون وفوائد .. ومصالح مشتركة ، على أساس المساواة في حقوق الجيرة وفي الزمالة.

والمجال الحيوي شروط اهمها التجانس ... فالبلاد المجاورة لليابان مثلاً ، هي مجال حيوي لليابان ، وليست مجالا حيوياً لبريطانيا وأميركا ، لوجود التجانس بين سكان تلك البلاد وبين اليابانيين ، وانتفائه بينها وبين الاخرين .. فاذا هاجر الياباني الى احدى تلك البلاد فانه يستوطنها ويمتزج بأهلها فيعمل كما يعملون ويعيش كما يعيشون ..

فغير المجانس لا حق له اذن في المجال الحيوي ، لانه يستعمر ولا يستوطن .. اي ينتفع ولا ينفع !

المجال الحيوي للعرب

وبناء على ما تقدم من اقوال الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ الثالث ، يجب ان نكون على بينة من هذه الفروق حتى يستقيم لنا الكلام في موضوع المجال الحيوي للبلاد العربية . فاذا قال المصريون ان السودان متحد مع مصر فليس ذلك صادراً عن نزعة استعمارية سابقة لاوانها .. كما قال احد شيوخ المستعمرين الفرنسيين .. بل لان السودان الذي هو أحد شطري وادي النيل هو المجال الحيوي الطبيعي لمصر .. وكذلك مصر للسودان .

وما يقال عن مصر والسودان يقال ايضاً عن سوريا والعراق والاردن . وفي رأينا ان مسألة مجـــال العرب الحيوي تظهر تدريجياً كلما زاد الوعي القومي عند العرب ، وكلما خفت حدة هذا

البياحر والتنافر بين حكام وساسة العرب الذين لا ينظرون الى اعداد المستقبل لجيل عربي متحد افضل ضمن مجال حيوي عربي موحد » كلما اقتربوا من مجالهم الحيوي ...

اليهود ومجال العرب الحيوي

ان من حسنات هتلر خيال العرب « ولو ان سيئاته نحو العرب اكثر من حسناته » انه ذكر في خطاب القاه في ذكرى ميلاده يوم ٢٠ نيسان ١٩٤٢ ما يلي :

ان المحاولات المبذولة لحشر اليهود في قلب المجال الحيوي العرب «فلسطين» هو كيد مبين للامة العربية.. وهو كيد لا يقف عند حد .. فلقد وضع اليهود في منتصف طريق المجال الحيوي العربي بصورة شطرت مجال العرب الحيوي الى شطرين — آسيوي وافريقي الامر الذي لا يحقق الوحدة العربية كمجموعة كبرى لها شأنها في السياسة الدولية.. بل يتعدى ذلك الى القضاء المبرم على مادة الحياة العربية من منابعها بتحويل مجراها الى اليهود !

لقد ذقنا نحن العرب طعم الحرية والاستقلال والعز والسيادة يوم ان امتد نفوذ اجدادنا المغاوير في البحر الابيض المتوسط الذي كان « بحرنا » الى جبل طارق .. والى مراكش فموريتانيا اي « بلاد العرب » الى تمبوكتو في سودان مراكش ، وامتد نفوذ العرب من اسبانيا فعبر جبال البيرينيه الى ضواحي باريس ..

ومن ذاق طعم الحرية والعز والسيادة لا يستطيع ان ينساه.. ويطالب مستميتاً لاستعادة تلك الحرية والسيادة . فحياة العرب اليوم موقوفة على مجالهم الحيوي !!

وستقرى قريباً كيف ان مادة الحياة العربية ستكتسح اليهود في الجزء المحتل من فلسطين العربية .

ارادة هتلر قانون مقدس !

انقسام الحزب النازي ...

دسائس ومؤامرات وفتن ...

السياسة تنظيم القوى !

عندما تسلم هتلر الحكم في برلين اعاد تنظيم قوى الحزب النازي ، ووزع الوزارات على المتفوقين من زملائه وصحابته بصورة جعلت جميع مرافق الدولة مربوطة بشخصه ما كبر منها وما صغر .. وصار هتلر يعرف الشاردة والواردة فلا يتخذ اي قرار الا بأمره .. ولا يعين اي شخص الا بعد استشارته ..

ان هتلر يعتقد بان السياسة معناها تنظيم القوى .. وهذه القوى تشمل جميع مرافق الدولة ! وهذه المرافق تشمل السياسة الداخلية والخارجية مركزة كلها في شخصه الكريم !

في سنة ١٩٣٧ عندما تمكن هتلر من اعادة الاستقرار الداخلي الى المانيا بفضل مشروع الاربع سنوات الذي قام به منذان تسلم الحكم وساهم فيه مساهمة فعالة الدكتور شاخت حاكم مصرف الرايخ والبير شبير عميد الصناعة النازية ، وكورت تانك زعيم الدفاع الاقتصادي للرايخ الثالث ، التفت هتلر الى اعادة تنظيم الاستقرار الدبلوماسي الخارجي في زمن حطم فيه الدوتشي موسوليني زعيم ايطاليا الفاشستية كل ثقة دولية بمبادئه المتمشية على خط مواز للمبادىء النازية الهتلرية !

سياسة النازية الخارجية

لقد شعر هتلر بوطأة السياسة البريطانية على سياسة العنف التي فرضها موسوليني على العالم فحاول ان يتقي شر بريطانيا وفرنسا ليتسنى له التفرغ الى دعم تنظيم قواه السياسية داخلياً ، ثم ينصب بكليته على دعم سياسته الخارجية التي كان مصمماً على عدم السماح لاية قوة على وجه الارض مهما تعاظمت ان تجاريها او تنافسها في الحول والطول والمناعة .

خدع هتلر بريطانيا وفرنسا معاً عندما عقد مع بريطانيا معاهدة تضمن لها السيادة المطلقة على البحار . وعقد مع فرنسا اتفاقاً ذهب من اجله الغراف فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ الى باريس ليؤكد للحكومة الفرنسية ان المانيا النازية تتعهد باطلاق يد فرنسا فيما وراء البحار على ان تتعهد فرنسا كحليفتها بريطانيا بعدم معارضتها في استعمال هتلر « حقه » في مجال المانيا الحيوي الكائن في شرق اوروبا والمؤلف من « تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وروسيا وهنغاريا والنمسا » ..

تجربة فاشلة !

وعلى أثر الاتفاق الهتري – البريطاني – الفرنسي على اطلاق الحرية لهتلر لاستعمال «حقه» في مجال النازية الحيوي راح هتلر يعمل بسرعة في اوروبا الشرقية بصورة اعادت سوء الظن الى بريطانيا فاوعزت الى فرنسا سراً بعدم تنفيذ الاتفاق مع هتلر ..

ثم عقدت بريطانيا وفرنسا اتفاقاً سرياً مع بولونيا تعهدتا بموجبه المبادرة الى مساعدتها في الساعة التي يفكر فيها هتلر بالاعتداء على بولندا ..

لقد كانت التجربة السياسية البريطانية الفرنسية مع هتلر تجربة فاشلة .. ولكنها مكنت هتلر من كسب سنتين من الوقت لتقوية جهاز الرايخ الثالث الحربي والاستعداد للطوارىء .. الطوارىء التي كان يعدها ويديرها تبعاً لخطط يرسمها هو ويمليها على هيئة اركان حربه في غرفة الخرائط الكبرى في قصر مستشارية الرايخ ببرلين !

١٣ عاماً في الحكم

لقد حكم هتلر المانيا حكماً فردياً و بلوتوقراطياً دكتاتورياً اوتوقراطياً .ففي خلال ١٣ سنة حكم هتلر الشعب الالماني كما حكم وتحكم في الحزب النازي .. اي قبل الحرب وفي خلالها .

كان هتلر في الاجتماعات التي يعقدها قبيل تسلمه مقاليد الحكم يوزع رجال ال « S.A. وال S.S. » في جميع انحاء الاجتماع ليسكتوا او يقضوا على كل من تحدثه نفسه في احداث الشغب او كل ما من شأنه ان يكدر (الزعيم) .

ولما حكم هتلر المانيا وزع رجاله الآنفي الذكر وبصورة اوسع واشمل في جميع انحاء المانيا لاسكات المعارضين وقطع السنتهم وخنق حرياتهم . وفرض الصمت على كل فرد في المانيا كبيراً كان أم صغيراً .

الصحافة يجب ان تمر في طريقها على الرقيب قبل ان تصدر .. والاذاعات لن يتكلم منها مذيع او خطيب قبل ان تسجل سلفاً المواد التي يراد اذاعتها للاستهلاك المحلي ام للتصدير الخارجي .

ارادة الزعيم قانون مقدس

الزعيم .. كلمة معناها، السيادة المطلقة، والقدسية اللامحدودة !.. فمهما قرر، والزعيم، فقراره حق .. والحق مع الزعيم فقط، دائماً ابدا . الزعيم، هو الذي يحكم وحده لا شريك له في الحكم ولا معارض !.

وما على اتباع الزعيم ورعاياه الا الطاعة والاخلاص ، والتصفيق لاوامر الزعيم بدون قيد أو شرط .

الزعيم هتلر هو راع .. وهو وحده مسؤول عن رعيته !

والزعيم هتلر في الوقت نفسه مقدس ..

فهو في الحكم مقدس غير مسؤول .. عن الاخطاء والمصائب والكوارث ونكبات الحروب ..

في خلال ١٣ سنة لم يتجرأ انسان في المانيا بطولها وبعرضها على استجواب هتلر .. فالمجالس البلدية تسبح بحمد « الزعيم » والمجالس التشريعية تصلي من اجل الزعيم والرايخشتاغ « البرلمان » يمجد اعمال الزعيم !

لقد جعل هتلر رجال المانيا الكبار من قادة الجيش الى الوزراء والتجار والصناع والعمال كالاطفال الصغار الذين ربطوا مستقبلهم بولي نعمتهم الكبير العاقل المنصف ! واعني به « الزعيم » هتلر !

كيفما تكونوا يولى عليكم

لقد وجد الشعب الالماني نفسه يوم ان تسلم هتلر الحكم فجأة امام رجل صاحب عقيدة يثق بنفسه .. وكانت هذه الخصال مفقودة عند الرجال الذين حكموا المانيا منذ سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٣ . فلقد كان اولئك الرجال ساسة كذب ونفاق واستغلال ورشوة ..

ولما كان هتلر زعيم مذهب سياسي وامام عقيدة بنائية تقدمية وليس « سياسي محترف » فكان من الطبيعي ان يبدو صادقاً في اقواله ، مخلصاً لعقيدته (وان كانت النتيجة وبالا على المانيا) . وكان من البديهي ايضا أن تلاقي (شخصية الزعيم) قبولا حسنا عند الشعب الالماني الذي يعجبه الصدق ، ويقدر العقيدة التقدمية المخلصة للوطن .

لقد اصبح الشعب الالماني بمجموعه يعتقد في خلال السنوات

الاربع التي مرت على عهد هتلر بالحكم اعتقاداً جازماً بأن (الفوهرر) هو الرجل الوحيد الذي يستطيع السير بالمانيا نحو السيادة والاستقرار والسعادة ، ويجعل الامم الاخرى تمشي وراء المانيا على استحياء خاسئة وهي حسيرة ..

زعامة مطلقة

كتب الدكتور غوبلز مقالا وصف فيه (الزعيم) هتلر جاء فيه : ان شأني مع (الزعيم) هتلر هو شأن كل الماني مخلص لبلاده و(لزعيمه) ان هتلر معلم الاجيال الالمانية . وان مقدراتي مثل مقدرات المانيا قد ارتبطت به الى الابد .. فلا سبيل لانفصام عراها !

اننا لم نمنح هتلر لقب (الزعامة) عبثا ، فلقد انتزعه منا ، من رجال الحزب النازي ، من الشعب الالماني عن بكرة أبيه ، عن جدارة واستحقاق .. ان المانيا في حاجة ماسة الى (الفوهرر) وهي بدون (الزعيم) لا تساوي قلامة ظفر !

ويضيف الدكتور غوبلز الى ما تقدم قوله :

عندما وقعت على طلب انتسابي للحزب «النازي» الاشتراكي الوطني الالماني للعمال ، اعترفت كغيري من المواطنين الالمانيين الصالحين بأن زعامة هتلر هي زعامة مطلقة !!

لقـــد كان رقم تسلسلي في الحزب النازي سنة ١٩٢٣ الرقم المتواضع التاريخي ٨٧٦٢ !!

قيادة حديدية

كانت قيادة هتلر المانيا في زمن السلم قيـادة ارتكزت على التهديد والوعيد ، والتلويح باستعمال العنف وسحق الاعـــداء والمعارضين بالقوة وبلا هوادة او لين .. سراً وعلانيـة والتماس

الاعذار الحينية المناسبة لماتيك الاعمال !

لقد كانت سياسة هتلر الداخلية والخارجية منذ أول عهده بادارة دفة الحزب النازي الى ان تسلم الحكم قائمة على «التآمر» والتظاهر بالموافقة على القرارات التي تتخذ «رسمياً» ثم لا يفتأ ان ينقضها اذا ما آنس في نفسه عدم الميل لتنفيذهـــا اما لاسباب لا تتفق مع المصلحة الوطنية «النازية» او لمصلحته الشخصية هو !!

وفي الواقع فان هتلر قد كان من انظف زعماء الحزب .. واطهرهم يداً.. وكانت مصلحته الشخصية تذوب في بوتقة المصلحة الالمانية (النازية).. هكذا كان اجتهاده .. ولعمري ان هذا ابرز سر من اسرار عظمة الرجل وتفوقه على اقرانه ! فزعماء النازية ما عدا الدكتور غوبلز ، قد تلوثوا جميعاً في مختلف مفاسد التفسخ والرشوة والانتفاع الذاتي والاستغلال.. ولولا قيادة هتلر المركزية القوية التي ربطت مقدرات الجميع ، الكبير والوضيع بعجلة قيادته لتحطمت ماكينة الدولة النازية من السنة الثالثة من قيام الحكم النازي.

كان هتلر اعرف الناس برجاله وبكفاءاتهم ، فلقد غربلهم اثر كارثة (روهم) ووضعهم في المناصب التي تليق بكل واحـــد منهم ، لا يمدون ارجلهم الا على قدر بساطهم !

قيادة عناد وانانية

وفي زمن الحرب لم تظهر قيادة هتلر (الاوتوقراطية)، الابعد فشله في احتلال موسكو .. عندئذ برزت الناحية الخفية في شخصية هتلر .. فلقد أخذ بيده زمام القيادة العليا للقوات الالمانية المسلحة بعد ان عزل الجنرال فون براوخيتش .. واناط بالماريشال فون كايتل مهمة (القائد العام لقوات الدفاع الالمانية) على ان يكون

مربوطا به شخصيا .

صار هتلر الى جانب عناده طويل اللسان صلفاً يثور لاقل حركة لا تعجبه ولسبب او بدون سبب ..

فلقد افقدته كوارث الجبهة الشرقية ، ذلك الصبر الذي كان من اهم خصائصه البارزة .. بيد ان صبر هتلر السالف الذكر لم يكن الا صبر (الظافر المنتصر) الذي ما كان يخرج من معركة منتصراً الا ليدخل معركة اخرى ينتصر فيها ويربح !

يعاكس القادة

كانت غية هتلر في زمن السلم وهو على دست الحكم ان يلعب ويلهو بقادة الحزب النازي من ولاة وحكام ومحافظين «غاولايترز» فكان يحلو له ان ينقلهم بالتتالي وبدون سابق انذار من اقليم الى آخر ... فينقل الغاولايترز من بريسلاو الى دريسدن مثلاً ، ثم لا يفتأ ان يأمر مارتن بورمان الامين العام للحزب النازي والمشرف على ادارة محافظي الاقاليم الالمانيـة بنقل ذلك الغاولايتر الى دوسيلدوروف ولما يمضي ٤٨ ساعة في دريسدن ..

وهكذا يشغل هتلر جهاز الدولة بالنقل والتوديع والاستقبال لا يهمه في ذلك ما تتكبده خزانة الدولة من نفقات باهظة !

لقد كانت قيادات الجيوش الالمانية المختلفة وحدات قائمة بذاتها تسير على طريقة اللامركزية في العمل الموضعي ... ولكنها كانت تنفذ الخطط التي ترسمها القيادة العليا للقوات الالمانية، مع التصرف الذي يستوحيه قائد الجيش الالماني ضمن قطاعه الحربي تبعاً للتطورات التي تحدث في المعركة ساعة فساعة او يوماً فيوماً !

ولكن هتلر بعد معركة موسكو الخائبة اخذ زمام المبادرة

من ايدي قادة جيشه جميعا ووضعهم بعنف وبوحشية تحت تصرفه ، وجعلهم رهن اوامره ونواهيه .. وصبر كل شيء يجري في الجبهات الحربية بعد عزل الجنرال فون براوخيتش في قبضة يده وحتى اذا اراد قائد فوج منح احد ضباطه اجازة كان عليه ان يأخذ موافقة القائد الاعلى ادولف هتلر !!

غرور هتلر مع القادة

لقد غضب (الفوهرر) على صديقه القديم فون براوخيتش غضباً شديداً أفقده البقية الباقية من اعصابه ..

فلقد تذكر هتلر بعد فشل معركة موسكو فجأة كيف ان براوخيتش قبل الزحف على روسيا الشيوعية عارض الاشتباك مع روسيا الشيوعية في حرب ..

كلف هتلر الماريشال كايتل ان يبلغ رئيسه السابق الجنرال فون براوخيتش امر الاستغناء عن خدماته واسر في أذنه اشياء لا تزال حتى اليوم مجهولة ..

وفي اليوم التالي كان الجنرال فون براوخيتش في مقر قيادة الجيش العامة (اوبر كومندودبس هيريس) الواقعة في شارع (تيربيتزاوفر) ، كان واقفاً في غرفة الانتظار المتصلة بالمكتب الذي طالما جلس فيه الاشهر والسنين الطوال التي قاد فيها جيوش الرايخ وكسب منها المعارك في الجبهة الغربية وفي بولندا وفي البلقان .. غرفة الانتظار التي طالما وقف فيها قادة جيوش الرايخ في انتظار دورهم للدخول عليه ...

مرت ساعة ثم ساعة .. وتلتها ثالثة وفون براوخيتش ينتظر بفارغ صبر ان يستقبله الماريشال كايتل الذي كان الى قبل يومين

فقط ينتظر في الغرفة نفسها ليستقبله فون براوخيتش ..

لقد عز على القائد العام الالماني السابق ان يعامل بمثل هذه القسوة والصلافة .. بل الوقاحة ! كما قال ذلك فون براوخيتش المرافق كايتل الذي كان يروح ويغدو باستمرار بين مكتب القائد العام والمكاتب الاخرى ..

. . .

عجرفة وصلافة

واخيراً وبعد ثلاث ساعات قضاها فون براوخيتش في الانتظار من الساعة التاسعة صباحاً الى منتصف النهار افتح باب القائد العام واطل منه المرافق وهو يقول : ارجو سيدي الجنرال ان يتفضل بالدخول !

وبخطى متئدة وطيدة دخل فون براوخيتش .. وكان الماريشال كايتل واقفاً وهو يتحدث الى الجنرال يودل رئيس اركان حرب (الزعيم) هتلر ..

— لقد كنت عند الفوهرر الليلة البارحة .. قالها الماريشال كايتل وصوته يبدو باردا جافا لا اثر فيه للمجاملة بل كأمر عسكري .. ثم اردف قائلا : فأمرني ان ادعوك لابلغك بأن «الزعيم» قد قبل استقالتك واحالتك على التقاعد ! اعتبارا من هذه الساعة ..

اخذ العرق يتصبب من جبهة فون براوخيتش لا من امر «الزعيم» بل من اللهجة القاسية التي فاجأه بها كايتل الذي عمل تحت قيادته زمنا طويلا كرئيس لشعبة الذاتية ..

قال فون براوخيتش : هل استطيع ان اعرف سبب احالتي على التقاعد ؟ انني لم اطلب الا الاستقالة من منصبي هذا أو نقلي ..

قال كايتل : طبعا .. طبعا ! الا تذكر معارضتك الشديدة للزحف على روسيا ؟ هل تتذكر ؟

فأجاب براوخيتش : نعم لقد كنت ولا ازال اعارض .. لقد ذكرت لكم ما لدي من الحقائق عن حالة الجيوش الالمانية وعدم الاستعداد الكافي لحملة كهذه .. وان من حقي كقائد عام ان ابدي رأيي بصراحة !

ـ انني اشجب هذا الحق .. حقك الذي تزعم !

ـ لقد سئلت عن رأيي في الهجوم على روسيا فاستعملت «حقي» في الجواب !

ـ انني اشجب ايضا هذا الحق .. ياجنرال !

ـ ماذا تعني يا ماريشال ؟

وعندما بدت علامات الانفعال على الماريشال كايتل ، وراح يحاول التظاهر بالهدوء ثم قال وهو يتمتم :

ـ انت ادرى الناس برغبات الفوهرر !

ـ ولكن هذه القضية قديمة .. اكل الدهر عليها وشرب !. ومع ذلك فلقد ابقاني «الفوهرر» قائدا عاما الى قبل يومين فقط ..

هذه رغبة الزعيم

ـ ان الزعيم ثائر عليك ولم يعد يتمالك نفسه من الغضب !

ـ لماذا ؟ هل افشيت اسرار عسكرية ؟

لم يجب الماريشال كايتل ، وظل يتطلع بغرور الى نافذة المكتب .. لقد كان الموقف رهيباً ومعيباً معاً .. ولكن فون براوخيتش لم ينتظر كايتل ، فقال بحدة وألم :

ـ انني افهم من هذا ، ان هتلر لا يقيم وزناً (لشرف) قائد عسكري الماني !

ولأول مرة يذكر اسم هتلر مجرداً من لقب زعيم .

ثم قال :

ولكنني كنت انتظر منك وانت احد زملائي ومعاوني القدامى ان تكون اكثر لياقة ، فتحرض على ان تعامل قائدك السابق معاملة مشرفة ، لا علاقة لها بطرق (الغستابو) الواطئة !

انتفخت اوداج المريشال كايتل وصعد الدم الى رأسه ... واراد ان ينقض على هذا القائد فيخمد انفاسه .. ولكن ارادته خانته .. اذ كيف يتمكن من القضاء على قائد شريف من قادة هتلر القلائل ! ثم هب واقفاً وهو يقول : انني انفذ اوامر الزعيم ، ولا يمكن ان اتعداها !

ـ الحق ان ما تقول هو اهانة بالغة .. ومن اجل ذلك فانني اطلب منك التفسير .

ـ هل تتحداني يا جنرال ؟

ـ نعم !!

ـ اني لست في وضع يساعدني على قبول التحدي .. فنحن في حالة حرب .. وانا افضل تنفيذ اوامر الفوهرر . ماذا تقول ؟

ـ اقول انكم بمثل هذه الاساليب الرخيصة ستودون بحياة الشعب الالماني وعلى رأسه هتلر !

ـ اسكت يا جنرال فان للحائط آذان ..

ـ الآذان (الحائط) هي انتم يا ماريشال .. فاسندوا الحائط قبل ان ينهار على رؤوسكم .

هكذا يقدرون

بمثل هذه الاساليب قادت المانيا النازية (عسكرياً) بعد النصر في الجبهة الغربية .. فلقد صارت الكراسي ، المدني منها

والعسكري ووسائل سهلة للتقرب من هتلر .. وتنفيذ اوامره (حقا ام باطلا) بدون التجرؤ على اسداءه النصح والارشاد والتوجيه .

وصارت القيادة العسكرية كمثل القيادة المدنيه تنحدر كل اسبوع او شهر يمر من سيء الى اسوأ . فالتنافس بين الكبار قد تغلغل فيما بينهم ، واحتدم النضال ليس في سبيل الشعب ومصالحه التي جاوزوا الى الحكم من اجلها .. بل من اجل مصالحهم الذاتية ، ومن اجل الجبروت والسلطان والمال ..

وكان الشيء الوحيد الذي كانوا يتنافسون من اجله (باخلاص وامانة) هو التقرب من (الزعيم) هتلر . لقد كانوا يضحون بكل ما لديهم من مرتخص وغال لقاء رضى هتلر ، والحصول على ابتسامة منه !

لقد انقسم الحزب النازي الحاكم على نفسه ، فصارت فيه اربع جبهات لم تتفاوت في القوة وفي الجاه وفي التقرب الى هتلر ..

الجبهة الاولى : مارتن بورمان ، الامين العام للحزب النازي ، والهر لاميرس رئيس قصر المستشارية ، والمريشال كايتل القائد العام لقوات الدفاع الالمانية ، ثم انضم اليها اخيراً الهر هاينريش هملر رئيس الغستابو ..

الجبهة الثانية : جبهة الفيلد مارشال غورينغ ماريشال الرايخ ورئيس وزارة بروسيا ووزير الطيران وقائد قوات (اللوفتوافا) السلاح الجوي الالماني .. يسانده الفيلد ماريشال كيسرلينغ والجنرال الطيار ديونو كوبيا ..

الجبهة الثالثة : جبهة الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ الثالث ومحافظ برلين تسانده الانسة ايفا براون ، والجنرال فيغلاين

رئيس تشريفات هتلر وزوج شقيقة ايفا براون ٠٠ والسيدة ماجدة غوبلز، زوجة الدكتور غوبلز نفسه ، وهي الجبهة الاقوى عند هتلر

الجبهة الرابعة : جبهة الهر البير شبير عميد الصناعة الحربية الالمانية ٠٠ الذي اطلق عليه لقب (ملك) المانيا غير المتوج ٠٠ يسانده في ذلك اطباء هتلر الشخصيين ، ما عدا واحد منهم !

بزوغ نجم البير شبير

ان بزوغ نجم الهر البير شبير عميد الصناعة الالمانية الحربية بعد ضم النمسا الى المانيا وتحقيق الانشلوس قد كان مثيراً للغاية ٠٠ فهذا الرجل الطموح قد كان يتمتع بشخصية جذابة اخاذة مطبوعة على التنظيم ٠٠ والتصميم والتنفيذ ٠٠ وهذه الملكات وان كانت من طبائع الشعب الالماني ، وخصائص تكوينه ، فهي في هذه الحالة قد جعلته يصل اقصى درجات الارتقاء في الحزب ٠٠ وهذا هو السر في اختيار (الزعيم) هتلر اياه ، وتخويله السلطة المطلقة في بناء النظام الحربي الاقتصادي ، وادارته وتنظيمه ٠٠

ماذا كتبت عن شبير ؟

في شهر كانون الثاني ١٩٤٣ كتبت مقالاً عن البير شبير بمجلة الجهير ، وهي المجلة الشهرية للاذاعة العربية ببرلين اعيد نشره هنا للحقيقة والتاريخ ٠٠ فأنا في هذه الحلقة من سلسلة كتبي الشهرية وغيرها لا اعبر الا عن رأيي في الاحداث التي مرت بي ، وعن رأيي الخاص بها ، ضارباً عرض الحائط بما يقوله غيري فيها ٠٠ وفيّ شخصياً ٠٠

والى القارىء الكريم ما كتبته في الهر البيرت شبير :

سبق لي أن وصفت الدكتور جوزيف غوبلز وصفاً دقيقاً جعلته فيه الشخص الاول في الحزب النازي بعد (الزعيم) هتلر ! ولكن

نبوغ البيرت شبير وعبقريته هما مثار الاعجاب والتقدير .. فهذا الشاب اليافع الذي ولد في مدينة مانهايم عام ١٩٠٥ واتم دراسة الهندسة في جامعات كارلسروه ومونيخ وبرلين ، ونال شهادة ديبلوم الهندسة في سنة ١٩٢٥ قد صار استاذاً ناجحاً في مدرسة الهندسة العليا ببرلين لمدة خمسة اعوام ! وفي شهر كانون الاول ١٩٣١ صار البير شبير عضواً في الحزب النازي .. ولما كلفه (الزعيم) هتلر بوضع التصاميم لانشاء المشاريع العمرانية المتعددة النواحي والبعيدة المدى ظهرت مواهبه الغزيرة .. وشق طريقه الى المجال الذي لا ينازعه فيه منازع .. فصار بحق ممثل الانشاء والتعمير .. واذا كان في انشاء الاهرام ما خلد خوفو وخنفرع ومنقرع .. فلقد اقترن اسم شبير بكثير من مباني الحضارة الالمانية ، ومظاهر العمران والمدنية ، ما جعل اسمه علماً من اعلام المانيا النازية ..

يسائل الكثيرون عن سر حضارة المانيا ومناعة هيكلها ، وقوة صخرتها ، حيث تكاثر عليها اعداؤها من كل جانب ، فلا يطأون منها موطئاً !! والجواب على ذلك ان المــــانيا تشبه في كيانها وقوامها الجسد السليم الاعضاء ، فكل حساته فيه يقظة متنبهة ، وكل عضو جد عامل ...

اما حواس المانيا « النازية » « السليمة » واعضاؤها الرئيسية العاملة ! فهي البير شبير وامثال البير شبير .. وهذه ثروة المانيا الزاخرة .. وكنزها الثمين !!

ثورة شبير

ان نتائج مشاريع الانشاء والتعمير التي قدمها شبير للشعب

الالماني في خلال ثلاثة اعوام ، كانت مبعث الاعجاب والتقدير والدهشة .. فلقد رأى الشعب وهو ينهض من كبوته بعينه ، ولمس بيده هذه الآثار البينات ، فأطلق على اعمال عميد الانشاء والتعمير النازي (ثورة شبير) !

وفي الواقع فان ثورة شبير هذه كانت ثورة قائمة على اسس (فنية) محكمة الوضع ، وليس على قواعد (دعاية غوغائية) لمجرد الدعاوة الفارغة واستثارة الحماس الارعن . وانتزاع التصفيق والهتاف الاهوج من الناس .

ويقيناً فان المهندس البارع شبير كان وحده الرجل المثابر على جعل المصانع الالمانية قادرة على انتاج ذخائر وعتاد بكميات توازي انتاج مصانع الحلفاء مهما اخذت بالتزايد والتفوق ..

ان مصلحة الانشاء والتعمير التي يقف على رأسها شبير قد توسعت وكبرت بمرور الزمن .. حتى انها كلما خسرت المانيا النازية معركة من المعارك ، كلما احدثت فرعا فنيا جديدا في الوزارة ليتدارك هذا الفرع استكمال اسباب النقص في المجهود النازي الحربي المتضخم ..

عدو جبار

وهكذا صار البير شبير المهندس الصغير الذي التحق بالحزب النازي في اواخر سنة ١٩٣١ الرجل الخطير الذي يمسك بيد من حديد سياسة الرايخ الثالث الاقتصادية ، يديرها ويسيرها تبعاً لمشيئته وارادته .

لقد كان مارتن بورمان الذي صار نائباً (للزعيم) هتلر ، بعد فرار هيس الى بريطانيا ، يعتبر شبير عدوه الالد الاكبر ، منذ

ان اشعل هتلر نيران الحرب العالمية الثانية .. ولما بزغ نجم شبير في سماء النازية وصار اسمه يلمع بصورة بهرت انظار المانيا و(الزعيم) نفسه ! اخذ بورمان يرتعد من الخوف والوجل على مركزه وعلى شخصه .. وكان يظن في اغلب الاحيان ان شبير قد يعتبره مرة حجر عثرة في سبيل تقدم سياسة اقتصاد الرايخ ! فيزيله بجرة قلم !

مأساة في القيادة العليا

صار قصر المستشارية قصر هتلر مستشار الرايـــخ الثالث و(زعيم) المانيا، و(زعيم) النازية ، والقائد الاعلى للقوات الالمانية المسلحة، مقراً للدسائس والفتن المثيرة التي لم يخف امرها على الشعب الالماني

وكانت الجبهات الاربع المتنافسة على الحكم والسلطان ، تستغل فرص التقرب من (الزعيم) هتلر لوضـــع العصى في عجلات الجبهات الاخرى !

كان هتلر يعلم ماذا يجري وماذا يدور حوله وفي قصره .. وفيما بين هذه الجبهات والاشخاص الذين يدبرون امرهـــا ، ويلعبون بخيوطها .. ولكنه كان يتجاهل الوضع .. بل كان يتعمد اشعال نيران الفتنة كلما خيل اليه ان اوارها قد خمد !

ان هتلر من الرجال النادرين الذين يعجبهم ان يعيشوا في وسط تكتنفه الدسائس، وتغلي فيه مراجل ـ الحقد والوقيعة والتنافس !ـ افلم ينتصر هتلر ، ويصل الى كرسي الحكم على اساس مثل هذه المظاهر ؟

لقد صار (الزعيم) يؤمن بأن (المآسي) هي التي تحمـــل الزعامة على خلق الظروف المناسبة للتخلص من الرجـــال الذين سببوا بعبثهم تلك المآسي .. وفي الحقيقة فان مثل هذه الحلول بوادر خطرة قد تطيح بأكبر رأس في الدولة حتى ولو كان هتلر

نفسه ! ولكن هتلر كان واثقا من نفسه ثقة عمياء لم يتحلى بها الحاكم المستبد استبدادا فردياً في الحكم كزميله موسوليني زعيم الفاشيستية في ايطاليا والماريشال انطونيسكو في رومانيا ، والامام يحيى ومن بعده احمد في اليمن !! فكان هتلر يتغلب على هؤلاء المفسدين في دولته وبلاطه من دون ان يفعل شيئاً ضدهم .

ويتركهم يتناحرون فيضعفون انفسهم بأنفسهم الى ان يبقى الاقوى منهم الى جانب هتلر !

دسائس البلاط النازي

ان طفرة الهر البير شبير من مهندس بسيط الى ارفع مقام يمكن ان يصله زعيم نازي في الصدارة الى جانب هتلر ، قد اوغرت صدر الكثيرين من قادة الدولة النازية باعتبارهم من رجال الطليعة وقدامى المناضلين الذين ساهموا في رفع هتلر الى قمة المجد وأجلسوه على عرش النازية .. فهم لا يريدون رؤية قادم جديد جاء متأخراً جداً الى صفوف الحزب ان يتفرد بثقة هتلر ويتحكم بمقدرات الرايخ الثالث التي هي مقدراتهم .

ولكن البير شبير قد شعر بهؤلاء الذين يأتمرون به ليبعدوه عن (الزعيم) ، ويعملون لاحباط مساعيه !! ولذلك راح شبير يدعم نفوذ البروفيسور الدكتور برانت طبيب هتلر الخاص في البلاط النازي ويسنده على سلم (الحكم) الذي راح كبار القادة النازيين يتدافعون من فوقه لاسقاط بعضهم بعضاً ..

ان معركة التقرب من هتلر ، قد افسدت صحة الفوهرر فلقد احتدمت المعركة بين قادة الدولة النازية من اجل التنافس الحاصل بين اطباء هتلر في قصر المستشارية بالذات ... وهؤلاء

الاطباء هم البروفسور الدكتور موريل والبروفسور الدكتور هاسيلباخ ، والبروفسور الدكتور برانت !

لقد اخترع البروفسور موريل حبوباً خاصة لشفاء امراض (الزعيم) المزمنة التي كانت تؤلمه باستمرار وخاصة كلما اصيب هتلر بنوبة عصبية .. او عندما تأتيه انباء سيئة من الجبهات الحربية !

وكان البروفسور موريل من محاسيب نائب هتلر من قبل رودولف هيس ، وصار من رجال بورمان نائب (الزعيم) الجديد من بعد !

ولما كان البروفسور برانت من اصدقاء المر ساور مساعد البير شبير في عمله الضخم الجبار ، فلقد استند الى شبير في نضاله ضد البروفسور موريل ، وصار يناصبه العداء بصراحة حتى انه قال ذات يوم ان صحة « الزعيم » قد اخذت بالتدهور منذ ان اخترع البروفسور موريل حبوبه المسماة « انتيغاز » !

وكان البروفسور هاسيلباخ يؤيد نظرية البروفسور موريل وهو الاضعف بين الطرفين المتنازعين على السيادة في بلاط هتلر ، فاستطاع برانت بقوة سنده شبير ، ان يطيح بالبروفسور هاسيلباخ فيحمل هتلر وهو يجتاز احدى نوباته العصبية التقليدية على ابعاد هاسيلباخ عن قصر المستشارية وارساله مباشرة الى الجبهة الشرقية !

صراع قادة النازية

انني حين اقدم هذه الصور الى القراء الكرام عن هتلر وقادة جهاز دولته ، اقصد ان اكشف الستار عن مواطن الضعف ، ونواحي القوة في هذا الجهاز النازي الذي قاد دولة الرايخ الثالث الى النصر فالانهيار دفعة واحدة وفي يوم واحد .. بعد ان استمر هذا الحكم ١٣ سنة .. كان فيها هذا الحكم قويا .. قوة استندت

الى استعمال القوة والعنف لدعم وجودها ، وبشرت بشريعة مكافحة القوة بالقوة منذ اول يوم حكمت فيه الى ١٠ كانون الثاني ١٩٤٢ ذلك اليوم الذي انتهت فيه معركة موسكو في الجبهة الشرقية بخيبة هتلر في الاستيلاء على عاصمة الشيوعية الكبرى موسكو !

يخطىء الكثيرون في تقديرهم بأن هتلر قد خسر المعركة في الجبهة الشرقية بعد خسارته معركة ستالينغراد ! فلقد بدأ هتلر بخسارته في يوم هجومه على روسيا ولم يخسرها نهائياً الا في يوم ١٠ كانون الثاني ١٩٤٢ اي بعد ان تراجعت جيوشه مدحورة من معركة موسكو !

وليست معركة الاطباء في بلاط هتلر الا حلقة خفية من سلسلة المعارك النازية الواضحة الدائرة في مختلف الجبهات ! والتي استمرت بعدئذ اعتباطاً ومضيعة للوقت والجهود والرجال !

فبورمان يريد التسلط على جهاز الدولة النازية وتجريد شبير من هذه السلطات .. وشبير يريد أن يبقى كما كان السيد المسيطر على كل شيء بعد هتلر وبأمر هتلر وبالقرب من هتلر ..

كان بورمان مستشار الحزب النازي أو بعبارة اصح ، الرجل الثاني في الحزب بعد هتلر ! ولما انصرف هتلر بعد تسلمه الحكم الى قيادة الدولة والجيش ، صار الحزب النازي بأسره تحت اشراف بورمان واصبح محافظو الاقاليم « غاولايترز » كلهم تحت تصرف نائب هتلر الجديد . فهو الذي يعينهم ويعزلهم وبطبيعة الحال فان جميع وظائف الدولة وضعت في يد بورمان يديرها كيف يشاء .

وهكذا فلقد صارت مقدرات دولة الرايخ الثالث في يد رجلين اثنين .. الاول البير شبير منظم اقتصاد الدولة السياسي والمشرف

على الانتاج الحربي ورئيس مشاريع الانشاء والتعمير ، والثاني مارتن بورمان مدير شؤون الحزب والمشرف على سير الحكم النازي ، ورئيس الموظفين في دولة الرايخ !

رد الفعل

لقد عز على بورمان ان يطرد (ربيبه) البروفسور هاسيلباخ من بلاط هتلر على مرأى ومسمع القادة النازيين ، فيسجل شبير نصراً بيناً عليه ! فأسرها بورمان في نفسه ، وراح يتربص بشبير الدوائر ..

ارسل بورمان حبوب « انتيغاز » التي اخترعها البروفسور موريل .. والتي طرد من اجلها زميله البروفسور هاسيلباخ الى مختبر الدولة للتحليل .. وبعد الفحص والتحليل تبين انها لا تحتوي على أية مادة تضر بالمعدة ! ولكن بورمان ليس بالرجل المغفل الذي يهلل عند اول انتصار .. فوضع نتيجة التحليل في خزانته وبقي ينتظر الفرصة المناسبة للايقاع بالبروفسور براندت ، ثم القضاء على سيده البير شبير !

ماكينة الدولة النازية

لم تكن في المانيا النازية منذ حركة التطهير التي قام بها هتلر بعد مذبحة روهم ورجاله في سنة ١٩٣٤ وزارة ولا رئاسة وزارة .. بل كانت هناك وزارات دائمة صارت اشبه بالمديريات العامة الثابتة في الدولة ، وكانت هناك رئاسة وزارة بروسيا «الوهمية الاسمية» التي يرأسها ماريشال الرايخ هرمان غورينغ .

ومع ان وزارة الدعاية التي يقف على رأسها الدكتور جوزيف غوبلز هي اضخم واكبر وزارة في الرايخ الثالث من حيث وفرة عدد الموظفين والانتاج ، فان الوزارات التي تليها في الاهمية كانت

وزارة الخارجية فالطيران فالمالية ، مع العلم بان الدكتور شاخت محافظ بنك الرايخ كان هو الكل في الكل في الشؤون المالية) . .

ولم تكن هناك وزارة دفاع بالمعنى الصحيح ، بل كانت ادارة « O.K.W » اوبر كوماندو دير ويرماخت « القيادة العامة لقوات الدفاع » والتي يشرف عليها الماريشال كايتل ، تحت امر الفوهرر هي التي تقوم مقام وزارة الدفاع !

لقد كان قادة الحزب النازي ، شبير ، بورمان ، وتانك ولاي ، ولاميوس ، وبالدور فون شيراخ ثم اكسمان « قادة الشباب » الهتاري ورئيس وزارة بروسيا ماريشال الرايخ الفيلد ماريشال هرمان غورينغ ، ووزراء الدولة الدكتور جوزيف غوبلز وزير الدعاية ، والكونت فون ريبنتروب وزير الخارجية والدكتور روزنبرغ وزير شؤون الشرق وروسيا وغيرهم من الوزراء يحكمون ويديرون شؤون المصالح الكائنة تحت تصرفهم باستقلال تام ولا يرتبطون ببعضهم بعضاً الا برابطة « الزعيم » وحده !

فلا مجلس وزراء يوجه الدولة ويرشدهـــا .. وقد لا يجتمع الوزير بوزير اخر الا مرة واحدة في خلال عام كامل .. وقد لا يجتمعان الا بطريق الصدف ! فوزير الدعاية غوبلز لم يجتمع بزميله فون ريبنتروب منذ مطلع سنة ١٩٤٠ الا في تشييع جثمان المريشال رومل « الرسمية الشعبية » التي مشى فيها هتلر مع اركان حربه ووزرائه .. ولكنهما مع ذلك لم يتبادلا الا التحية ! وكان ذلك بعد محاولة اغتيال هتلر في ٢٠ حزيران ١٩٤٤ .

اربع سياسات للدولة !

كان جهاز الدولة النازية قد انقسم من تلقاء نفسه ومنذ اول

عهده بالحكم الى اربعة اقسام ، او بتعبير اخر الى اربع سياسات منفصلة عن بعضها بعضاً تمام الانفصال ، وهي وان كانت ترمي الى الاهداف الرئيسية التي كان هتلر قد رسم خطوطها الابتدائية المحدودة ، فان قادة هذه السياسات الاربع قـد فسروا خطوط هتلر الابتدائية تفسيراً شخصياً اعتبره كل واحـد منهم « حسب اجتهاده » دستوراً لعمله اليومي ، اي الحاضر وفي المستقبل !

فمارتن بورمان بوصفه مستشاراً للحزب النازي والمدير الرئيسي لموظفي الدولة « ما عدا وزارات الدعاية والخارجية والطيران » والمتحكم في مقدرات الولاة والمحافظين قد صار « رأس الرجـاء الصالح » لموظفي الحزب والدولة الذي لا يؤدي اكثر من ٧٠ بالمئة منهم اي عمل يفيد الشعب بالمرة ، اللهم الا الجلوس على الكرسي وتبادل « القرطاسية » والتظاهر بخدمـة الحزب والدولة ! بدون ان يحركوا ساكناً ..

وكان بورمان يقبل من عباد صنمه هذا الخنوع ، وهذه الطاعة ثمناً لابقائهم على كراسيهم والحيلولة دون سوقهم الى الجبهـة ! فتمتع بنفوذ كاسح لم يتمتـع به موسوليني ولا ستالين في ادارة شؤون الحزبين الفاشيستي والشيوعي في بلديهما ! ولم يتمتع به « راسبوتين » من قبل ، ولا « راسبوتين » بعد الحرب الاخيرة !

لقد عرف بورمان كيف يستغل اسم هتلر لاخضاع مرؤوسيه وارهابهم في الحزب والدولة فجعل الكل طوع بنانه ، وراح يملي ارادته التي صارت قدس الاقداس تنفذ بحذافيرها من دون ان يتجرأ اي مخلوق في المانيا الكبرى وفي اوروبا على معارضتها .

اصبح مارتن بورمان مستقلاً في قيادة الحزب النـــازي ،

وجعل قيــــادة الدولة تسير في ركاب سياسة الحزب التي يوحي بها هو يومياً بالنسبة لمستلزمات الاحوال وتطورات الاحداث، تبعاً لاجتهاده الشخصي المستمد من ميوله ورغباته لاأقل ولا أكثر ..

هذا هو القسم الاول من جهاز الدولة النازية الداخلي الذي يديره مارتن بورمان نائب « الحاكم » بأمره ..

القسم الثاني !

أما القسم الثاني الذي سيطر عليه المهندس ألبير شبير، فكان على المستوى العمالي الذي يؤلف الاغلبية الساحقة من الشعب الالماني، ناهيك عن الملايين العديدة التي سخرت وأجبرت على العمل في مصانع الانتاج الحربي من مختلف اقطار اوروبا ووضعت بمجموعها تحت رحمة زعيم الاقتصاد السياسي لالمانيا النازية بدون حساب او كتاب .

لقد كانت سياسة شبير ترمي الى رفع مستوى العمال الالمانيين وجعلهم يمتازون عن غيرهم من عمال اوروبا بالرفاه في السكن والتعليم وتوفير الوسائل الصحية لهم في زمن السلم حتى استطاع في خلال ثلاثة اعوام اي الاعوام التي اعقبت الالعاب الاولمبية الدولية التي سمح باقامتها هتلر في برلين عام ١٩٣٦ ان يعبىء الجهاز الحربي الالماني سراً وعلانية ويعده اعداداً كاملاً ليخوض هذه الغمار هاتيك الحروب الطاحنة التي اوقد نيرانها في الغرب والشرق حتى جعل اوروبا والجزء الغربي من روسيا وكأنهما تعيش في آتون من نار دائم الاوار .

اوبأيت دنيست !

اوكل البير شبير الى صديقه وأستاذه الاول الدكتور لاي

منظم هيئات الحزب النازي الاشراف على منظمة «اربايت دنيست» خدمة العمل التي ينخرط فيها الشباب المتاري من فتيان وفتيات للعمل الاجبـــاري لمدة سنة بادىء ذي بدء .. فكان على كل شاب او شابة المانية ان تتقدم للعمل الاجباري قبل الالتحاق في خدمة العلم وقضاء الواجبات العسكرية ..

وللاربايت دينست ، دوائر خاصة رسمية في جميع مدن المانيا وقراها ودساكرها مثل دوائر التجنيد الاجباري . ومن واجباتها توزيع الشباب على مختلف الاعمال والمهن تبعاً للحاجة التي يلمسها الموظف المختص ، فمثلا تكون طلبات ادارة الفنـادق في برلين تزيد على عدد طلبات ادارة المطاعم والبارات . فيقوم الموظف بتقديم وجبة من الشباب الى ادارة الفنادق للخدمة في الكنس والتنظيف او في المطبخ .. وهكذا الحال مع الفلاحين المحتاجين للخدم باستمرار ، خاصة بعد ان سيق المجندون الالمان الى الجبهات الحربية .

لقد رأيت ابناء الامراء واحفاد الملوك والاشراف الالمانيين يعملون في خدمة الفلاحين والمزارعين ورأيت الفتيات الارستقراطيات الالمانيات يعملن في خدمة بيوت العمال الذين انتدبوا للعمل في المصانع . فتقوم الفتيات بالسهر على خدمة اطفال العمال وتنظيف بيوتهم وكأنهن يعملن في بيوتهن بكل اخلاص وأمانة ومهارة ..

اورغانيزاسيون توت

عندما اتم هتلر احتلال الجبهة الغربية ، ورفضت بريطانيا الصلح الذي تقدم به اليها هتلر ، فكر « الزعيم » جدياً في مستقبل هذه الشواطىء المترامية الاطراف الممتدة من بحر الشمال الى حدود اسبانيا . فهذه الشواطىء تؤلف خطراً على اوروبا التي صارت

« قلعة هتلر » فلقد كان من السهل على اعداء المانيا انزال قواتهم عليها ، ومن اجل ذلك فكر في اقامة سور على سواحل الاطلسي لحفظ اوروبا من قوات الحلفاء !

اختار « الفوهرر » احد زملائه القدامى ليقوم بمهمة بناء « السور الاطلسي » او الحزام الاطلسي كما كان يحلو لهتلر ان يسميه . وقد استخدم الهر « توت » رجل هتلر المختار لهذا العمل الجبار اكثر من ثلاثة ملايين عامل ومهندس وخبير لاقامة هذا السد الهتلري الذي اعاد ذكرى سد الاسكندر في الصين وجعل خط ماجينو بالنسبة اليه يقف كالطفل القزم الى جانب عملاق مارد.

ما هو فريتز توت

يعتبر الهر فريتز توت من كبار المهندسين الالمان الذين تخصصوا في بناء الجسور والطرق والمصانع ، كان في الحرب العالمية الاولى مهندساً للطائرات ثم صار مهندسا للمدفعية . ولما تعرف على « الفوهرر » في شهر نيسان ١٩٢٣ كان مديراً لشركة مونيخ للاعمار وشق الطرق ، التي كان مركزها في مونيخ عاصمة بافاريا، وكان رقم تسجيله عضواً في الحزب النازي هو الرقم ١٠٠٠٠٠.

لم يشتغل المهندس فريتز توت في السياسة ، ولم يتدخل في سياسة الحزب النازي ، فلقد انصرف مثل زميله وصديقه البير شبير الى الانشاء والتعمير .. فاعاد تجميل مدن المانيا ، وهو الذي فتح بنفسه وبتصميمه طرق « اوتوستراد » التي كانت مفخرة من مفاخر المانيا الهتلرية !

لقد كان هتلر يعجب بعبقرية « توت » ويهيء له كل الاسباب التي تبرز له مواهبه الهندسية والفنية ، حتى انه جعل له المانيا

الكبرى حقلا ضخما يجري فيها تجاربه الهندسية المعمارية ، فنجح في هذا الصدد نجاحاً باهراً .

وفي سنة ١٩٣١ طلب اليه هتلر ان ينضم الى مؤسسة الـ S.A الهتلرية برتبة « رايش لايتر » المعادلة لرتبة جنرال ، وجعله رئيساً للقسم الهندسي الخاص بالهجوم !

كان نجاح فريتز توت في اعماله كمهندس معماري دافعاً له على تأسيس منظمة للعمل تحمل اسمه ويكون لها الفروع والمكاتب في جميع انحاء المانيا كأي وزارة من وزارات الرايسخ النازي . وهكذا صارت المؤسسة تحمل اسم « اورغانيزاسيون توت » اي منظمة توت ! وذلك في عام ١٩٣٣

ما هي اهداف توت

لقد كان توت المانياً صرفاً قبل ان يكون نازياً ، فلقد عرفته جيداً وعرفت ميوله ، فتبين لي من سياق احاديثه ، بأنه قد استخدم الحزب النازي وزعيمه هتلر « وسيلة لا غاية » لكي يستطيع بفضل منظمته هذه خدمة المصلحة الوطنية الالمانية وتعمير بلاده وجعلها نموذجاً مثالياً في الجمال العمراني تكون اسوة حسنة في اوروبا .. ثم القضاء على البطالة بشق طرق « اتوستراد » في المانيا تتفرع من برلين شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا .. يكون مجموع طولها ٧ الاف كيلومتر كخطوة اولى ! ولكن القيادة الالمانية العامة عارضت بشدة مشروع الاوتوستراد بحجة ان هذه الطرق تسهل على جيوش الاعداء الالية مهمتها في وقت لم تكن فيه القوات الالمانية قد اتمت تسلحها آلياً .. الامر الذي يجعل طرق الاوتوستراد « طرق غزو سهلة للعدو ! »

اما هتلر فلقد وضع خططه « المرسومة » ! فمنذ اول عام ١٩٣٤ كان هتلر قد اتفق مع المهندس توت على مشروع ست سنوات يحقق فيه توت وينفذ طرق الاوتوستراد .. وهي طرق « سلمية » كما قال هتلر للقيادة الالمانية العامة يوم ان اعترضت على المشروع ..

وقد لا يكون من غرائب الصدف ان تتم طرق الاوتوستراد عند ابتداء الحرب العالمية الثانية ، فتمر من عليها قوات النازي الآلية لغزو بولندا وغزو اوروبا الغربية .

وفي عام ١٩٣٨ عندما تفاقم خطر الحرب واخـذت طبولها تدق ، قرر هتلر بناء خط حربي قبالة خط ماجينو الفرنسي .

خط زيغفريد !

امر هتلر منظمـة توت ببناء خط زيغفريد ، ووضع تحت تصرفه للعمل فرقة هندسة الجيش ، ولكن فريتز توت ظل محتفظاً باستقلاله فبرهن على صلابة ودقة في العمل الجبار الذي سخر له كل ما يملك من حول وقوة ، فكان عليه ان يستأجر العمال والخبراء والمهندسين وينشيء لهم دور الاقامة ، ويؤمن لهم الطعام ويوفر لهم الوسائل الصحية ..

لقد حاول بعض الساسة النازيين المتنافسين على كراسي الحكم زج فريتز توت ومنظمته في التناحر الحزبي ، او اكتسابه الى طرف من الاقسام الاربعة المتنازعة على السلطان.. ولكن توت كان مؤمناً بنظرية « التعاون بتفاهم اخوي متبادل » .

وهكذا نبذ توت الدسائس والتناحر ، فاستطاع ان ينجز خط زيغفريد الالماني بقلاعه الجبارة وحصونه المنيعـــة ورباياه

المستحكمة في خلال المدة التي حددها هتلر !

لقد استطاع هتلر بفضل عبقرية فريتز توت ونشاط مهندسي منظمته وعمالها ان يبني لالمانيا خطاً حربياً حصيناً في مقدوره ان يحمل توت على ان يقول للمهندس الفرنسي باني خط ماجينو المسمى بأسمه بكل زهو : تفضل جانباً لاجلس في محلك !..

فيست وال!

لقد صارت منظمة توت العمود الفقري لجهاز هتلر الحربي ، واصبح توت رجل الساعة في المانيا الكبرى .. فعظمت قيمة المنظمة الفنية ، وقيمة الخبراء والمهندسين الذين فتح لهم توت بمهارته آفاق العمل فأظهروا مقدرتهم وبزوغهم فيها .

كان عدد العمال الذين يشتغلون في منظمة توت في شهر تموز ١٩٣٨ لايزيد عن ٣٥ الفاً من العمال. ولكن هتلر لما امر بتشييد «فيست وال» الجدار الغربي في الجبهة الغربية تضاعف عدد العمال اضعافاً مضاعفة ... وقفز الرقم من ٣٥ الفاً الى نصف مليون من العمال !

لقد استخدمت منظمة توت جيشاً كاملاً من الرجال للقيام بالاشراف على مختلف الاعمال ، فبلغ عدد المشرفين ٩٠ الفاً ، يساعدهم زهاء ٨٠٠ الف من شباب منظمة «اربايتس امت» خدمة العمل في الاشراف على وحدات العمال .

ان اعمال منظمة « O.T » او — تاورغانيزاسيون توت» قد انتهت بمجموعها كما ارادها هتلر بفضل مثابرة توت ورجاله على العمل المضني الشاق الذي تطلب لتحقيقه ١٠ الاف سيارة للنقل ساهم فيها الحزب النازي بتقديم « سائقي السيارات » وساهمت

مصلحة البريد بـ ٧٠ بالمئة من وسائل نقلها ..

توت في قمة المجد !

كان فريتز توت الرجل الوحيد الذي اعترف له « الزعيم » هتلر بالفضل من رجال الحزب النازي ! فهتلر كان يعتبر اعضاء حزبه انما يقومون بواجباتهم ، وهم لا يستحقون على القيام بواجباتهم لا جزاء ولا شكورا .

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٣٩ قدم فريتز توت قائمة بالاعمال المنجزة التي طلبها هتلر !

ومنذ ذلك التاريخ صارت منظمة توت منظمة عسكرية اي انها صارت جزءاً من الجيش والقوات المسلحة .. وامر هتلر بتعيين توت « جنرالاً » في اللوفتوافا ، السلاح الجوي الالماني !

وفي شهر شباط ١٩٤٠ عين فريتز توت مفتشاً عاماً لمشروع دراسات الاربع سنوات الحربي .. وفي شهر مارس ١٩٤٠ عين مديراً عاماً لاشغال الاعمار !

وفي هذا الشهر نفسه كلفه هتلر بالاضافة الى الوظائف الانفة الذكر بوظيفة المفتش العام لمصلحة القوى الهيدروليكية والكهربائية .

وفي نهاية شهر مارس ١٩٤٠ عين فريتز توت وزيراً للتسليح والعتاد والتجهيزات الحربية .

تضخم منظمة توت !

اما منظمة توت فقد صار لها مركزاً رئيسياً في برلين ، مع مصالح ملحقة بها للامن والرقابة ..

١ ــ وادارات اقليمية للاشغال العامة . ومخيمات لرؤساء العمال . ولوحدات العمال التي يتراوح عددها بين ١٠٠ والف عامل !

٢ – مخازن التموين ومتفرعاتها .

٣ – ادارات للبوليس الذي يتولى حماية العمال وحرية العمل والنقل والنظام والطاعة !

٤ – مجالس التأديب التي كان من شأنهـــا ان تتولى تأديب المخالفين النظم والقوانين وفرض العقوبات عليهم وسجنهم في اماكن خاصة بالنسبة لجنسيات العمال ، اذ ان كل جنسية لها سجن خاص !

٥ – ادارات الحرس ضد التخريب : ومهمتها تنحصر في مراقبة العمال الاجانب والالمانيين الذين تسول لهم انفسهم القيام باعمال « السابوتاج » التخريب والتدمير والحث على اضعاف قوة الانتاج .

٦ – مصلحة الصحة التي استخدمت الوف الاطباء لحفظ صحة العمال والسهر على جعلهم في حالة يستطيعون معها مواصلة العمل في زمن الحرب كالحالة التي كانوا يعملون بها في زمن السلم ..

٧ – مصلحة الدعاية !

فوونت اوبايتر !

كان من جراء تضخم (O.T) اورغانيزاسيون توت اي منظمة توت يوم ان صار يعمل فيها زهاء ٣ ملايين من العمال وهم خليط من الالمانيين المشرفين على العمل.. واجانب عبيد ارقاء من مختلف اقطار اوروبا المحتلة ان التفت الدكتور جوزيف غوبلز وزير الدعاية النازية الى الخطر المحدق بهذه الملايين من البشر المتعددة الاجناس المختلفة المشارب والميول والاهداف ، فاتفق مع صديقه فريتز توت على انشاء مصلحة للدعاية تبشر بين العمال الاجـانب بمختلف اللغات بلزوم التعاون مع المانيا ، وتؤكد لهم بالحاح بان

مصلحة بلادهم مربوطة بمصلحة المانيا الهتلارية .. وبان انتصار المانيا هو انتصار بلادهم .. كما كنت اقول ذلك للعرب في كل مساء وفي كل صباح !!

وبناء على ما تقدم . فلقد تم الاتفاق بين غوبلز وتوت ، وزير الدعاية والتسليح الهتلري على نشر جريدة يومية للعمال بمختلف اللغات باسم « فرونت اربايتر » اي عمال الجبهة ... ابتداءاً من شهر كانون الاول ١٩٤٠ وكانت تنشر للعمال الاجانب بمختلف اللغات انباء بلادهم مع « الريتوش » المناسب للاحداث اليومية متوجة بالكليشة التقليدية عن انتصار المانيا الذي هو انتصار للشعوب المستعبدة وتحريراً لها !

لقد كان لنشر جريدة « فرونت اربايتر » الاثر الطيب في تخفيف حدة العمال الاجانب الذين كانوا يستهدفون التخريب والتدمير في اعمال الاشغال الالمانية الواسعة النطاق في سواحل الاطلسي وفي سواحل البحر الابيض المتوسط .. وفي المانيا نفسها .. وفي الجبهة الشرقية .. فلقد دفع على التحرير فيها الرجال الذين توسم فيهم دعاة هتلر الخبرة في التحرير من رجال الصحافة الذين سخروا للعمل رغم انوفهم في مختلف الجبهات بسبب انتسابهم الى مؤسسات المقاومة السرية في بلادهم !

رواتب العمال !

كان فريتز توت يدفع رواتب المهندسين والخبراء والعمال بادىء ذي بدء وفي اول عهده بالحرب بالنسبة لاختصاصهم وكفاءتهم .. ولما تطورت الاحوال ، وازداد نطاق عمل منظمة توت في السنة الثانية للحرب ، قرر توت منح العامل راتب

الجندي الالماني .. مع دفع الفائض عن راتبه السابق الى عائلته في الوطن او في البلاد الاوروبية الاخرى !

ان خمس الشعب الالماني صار يشتغل في منظمة توت .. وسبعة اعشار سكان اوروبا المحتلة صاروا عبيداً مسخرين يشتغلون في بناء جدار الاطلسي في اوروبا الغربية .. وفي الجدار الممتد من سواحل اسبانيا الى حدود ايطاليا ماراً بالريفييرا الفرنسية !

لقد كانت المبالغ التي تدفعها خزانة الدولة النـــازية للعمال ولعائلتهم في المانيا وفي اوروبا ضخمة تستنزف قواها .. ولكن مطابع النقد الورقي الالماني ما كان ليعتورها الوهن في طبع الالوف المؤلفة والملايين من الماركات لسد حاجة الناس من سادة وعبيد.. فكانت عند حسن ظن الجميع .. وسددت طلبات الجميع ..

خطوط هتلر !!

هذا في المغرب وفي المانيا !!

اما في فرنسا وفي ايطاليا ، فان هتلر قد امر منظمـة فريتز توت بتشييد خطوط دفاع أخرى استنزفت من المانيا قوى لو صرفتها على الجبهة الشرقية لكان لها على الخط الاوفر في الانتصار.. ولكن ارادة « الفوهرر » فوق كل ارادة !!

وفي شهر تشرين الاول ١٩٤٢ اصدر هتلر أمره الى منظمة توت ببناء خط دفاعي يمتد من حدود اسبانيا الى حدود ايطاليا على شواطىء البحر الابيض المتوسط بفرنسا .. وامر ببنـاء خط غوستاف .. وخط غوتيك .. وخط هتلر في ايطاليا !!

وكان على العمال المشتغلين في منظمة توت العمل الى جانب هذه الاشغال الضخمة الاشتغال في تجديد حيوية المطارات الالمانية

في اوروبا وفي قطاعات روسيا المحتلة وفي المانيا نفسها.. وفي الحدب على اصلاح طرق الاوتوستراد، ومحافظة صلاحها للعمل!

خطر العمال!

ان حاجة الرايخ الثالث كلما تزايدت لليد العاملة الالمانية للعمل في مختلف الجبهات.. كلما ازداد الخطر على المانيا.. فقلد كنا نشاهد ونسمع كيف ان العمال الاجانب من الاوروبيين الذين سخروا للعمل كالعبيد يقومون بأعمال التخريب والتدمير في كل مناسبة.. حتى لقد صاروا يقومون بأعمالهم التدميرية عندما يقررون القيام بعمل ما، او عندما يشتهون!

لقد عمد البير شبير بعد وفاة فريتز توت بسقوط طائرته في عام ١٩٤٢ الى بحث الوسائل الممكنة للحيلولة دون استمرار التخريب والتدمير في صفوف عمال منظمة توت، ولكنه استسلم للامر الواقع مثل سلفه توت.. وبقي يراقب التطورات!

انني في بحث هذه التطورات والاحداث التي جرت في المانيا الهتلرية في خلال الحرب العالمية الثانية انما اضع للقارىء العربي صورة من صور الحرب المجهولة التي لم تسجلها البلاغات الرسمية الالمانية.. ولم تعترف بها القيادة الالمانية.. ولم تشر الى وجودها! ولكنها الحقيقة المرة الاليمة التي تذوقناها ودافعنا عن وجودها وتقولنا الاقاويل المفتعلة عن عدم صحتها.. وبأنها غير واردة.. ومستمدة من خيال دعاة الخصوم وضاليلهم ومفترياتهم!..

لقد بقي العمال الاجانب حتى نهاية سنة ١٩٤١ محتفظين بهدوئهم، ولم يحركوا ساكنا الابعد ان ازداد عددهم وتضاعف بالالوف المؤلفة من الاسرى الروس الحمر الذين جيء بهم من

الجهات الشرقية واختلطوا بالعمال الاوروبيين الذين كانوا حتى ذلك الحين مطيعين ينصاعون الى الاوامر والنواهي ينفذون الاعمال بكل دقة ..

الشيوعية والتخريب !

ان امتدادات الجبهات الحربية والابعاد الشاسعة الطويلة لطرق المواصلات التي تحتاجها القوات الالمانية المسلحة للتموين وتجديد العتاد والمؤون والحربية كان يتطلب وجود ملايين من العمال للسهر على ابقاء هذه الطرق صالحة للعمل ، وصارت فروع منظمة توت تسير جنبا الى جنب مـــع الجيوش النازية ، ففي انتصاراتها كانت تنشىء له وسائل الراحة والاطمئنان .. اما في التراجع والانكسار ، فلقد كانت تقطع على العدو سبل اللحاق بالقوات النازية بنسف الجسور وتخريب الطرق .

لقـــد بدأ الاسرى الروس في منظمة توت باعمال التخريب والتدمير في مختلف المدن والمصانع والطرق والمنشئات الالمانية .. بعناد وبصورة مستمرة .. وكان رجال الغستابو كلما امعنوا في التنكيل بدعاة الشيوعية بين العمال الاجانب من الاسرى الروس ، كلما ازداد هؤلاء عنادا في دعوتهم .. وكانوا حذرين يقظين في الدعوة للشيوعية والتخريب !! وقد كان اول مـــن استجاب لهذه الدعوة من بين العمال الاجانب ، البولنـــديين والفرنسيين الذين عملوا في خلال سنتين كاملتين بكل طاعة ونظام قبل انضمام الاسرى الروس الحمر اليهم ..

تجنيد الشركات !

في صيف سنة ١٩٤٢ عندما توسعت القيادة الالمانية العليـــا

في معاركها الضخمة في الافاق البعيدة المترامية الاطراف في الجبهة الشرقية اضطرت منظمة توت الى تجنيد اكثر من ٥ الاف شركة المانية للانشاء والتعمير والمصانع بمهندسيها وعمالها للعمل لكي تلبي حاجة الجيوش الجرارة اليومية من ذخائر وعتاد ومواد غذائية ، وجندت جميع الشركات المهتمة الكائنة في اوروبا المحتلة ..

لقد استغلت الشركات الاجنبية الوضع في منظمة توت فصرفت جهودها للكسب غير المشروع .. وبذلك اضيف الى عوامل الشيوعية والتخريب والتدمير ، عاملا جديداً هو عامل الرشوة الامر الذي اخاف البير شبير خليفة توت على رأس المنظمة ووزارة الانشاء والتعمير ، فحمله على تسليح منظمة توت ، وجعل افرادها جميعاً من الالمانيين كالجنود المحاربين في الجبهة الشرقية يقاتلون ويعملون ويحافظون بانفسهم على منشئاتهم وعلى طرق مواصلاتهم .. ومقاومة المقاومة السرية ضمن منظمة توت وفروعها الضخمة المنتشرة في اوروبا الغربية وفي مختلف قطاعات الجبهة الشرقية ..

الصراع بين ديتريش وغوبلز !

صحافة هزيلة ... واذاعة قوية ...

التفسخ يحل بقادة الحزب

دور المرأة في الحركة النازية !

ربينتروب وديتريش !

لقد اغتنم غراف فون ربينتروب الفرصة المواتية لتقوية الجبهة الثالثة في الحزب النازي ضد خصمه اللدود ألدكتور غوبلز، وكان يجتمع بالدكتور ديتريش في نادي الصحافة الاجنبية الذي اسسته وزارة خارجية الرايخ في شارع « فزاتن شتراسه » ببرلين لمنافسة نادي الصحافة الاجنبية الذي اقامه غوبلز وراء قصر المستشارية مباشرة .. وراح يحرضه على ابعاد الصحافة الالمانية عن متناول يد وزير الدعاية، وعدم السماح له بتوجيهها أو التحكم بحريةتحريريها !

وبالنظر للدالة التي صارت لرئيس صحافة الرايخ ديتريش على هتلر وبالنظر لعمله الدائم في مقر « الفوهرر » فلقـــد استطاع ديتريش ان يجعل صحافة الرايخ الثالث بمجموعها تحت تصرفه مباشرة ..

كان الدكتور اوتو ديتريش من النوع الالمـــاني المتعصب

العنصرية الجرمانية ، فهو بروسي اصيل من الطغمة التي يسمونها « يونكرز » الذين يعبرون عنهم بالفروسية ، وتميزهم عن غيرهم « ندبة » مستطيلة على الخد الايمن وهي شرط اساسي لرجال اليونكرز .. فهم يصابون بها في الجامعات ابان عهد الدراسة في خلال التمارين على المبارزة بالسيف .. وان لم يصب الشاب بندبة فما عليه الا ان يجرح خده بالسكين لتبقى الندبة بارزة للعيان طول حياته ..

تدني صحافة الرايخ !

لقد رأيت كيف ان الصحافة الالمانية في عهد غوبلز بلغت القمة في سعة الانتشار والرواج حتى ان كل عائلة في برلين كان لا بد ان تقتني جريدتين يومياً على الاقل ، وكانت اكثر الصحف رواجاً جريدة « فولكيشر بيؤباختر » اي الرقيب الشعبي ! وتليها جريدة « برلينر انزاغر » اي المحدث البرليني ... وجريدة «برلينر تسايتونغ » اي جريدة البرليني ..

اما جريدة « دير انغريف » اي الهجوم ، جريدة غوبلز التي كافح بها الشيوعية والعناصر الهدامة الاخرى منذ سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٣٩ وبنى عليها مجده كداعية مثير وصحفي بارع فلقد اوقفها غوبلز بعد ان صار اوتوديتريش رئيساً لصحافة الرايخ .. مخافة الاصطدام به علانية ، خاصة وان الحرب كانت في سنتها الاولى !

كانت جريدة فولكيشر بيؤباختر توزع اكثر من ثلاثة ملايين نسخة يومياً في برلين والمدن القريبة منها ما عدا طبعاتها الاخرى التي تطبع في هامبورغ وموينخ وكولن واخيراً في فيينا بعد « الانشلوس » اي الضم الى المانيا الكبرى « غروس

دوتشلاند » وهذه الطبعات كلها تصدر بنص الطبعة البرلينية اذ تكتب المواد وتنقل بواسطة آلة الكاتبة المرسلة « تيلوتيب »

ولكن هذه الارقام الضخمة ما فتئت ان هوت الى الحضيض بقدرة قادر .. وفي اخر شهر نيسان ١٩٤٠ كان رقم توزيع جريدة فوالكيشر بيؤباختر قد تدنى الى ٢٨٠ الف نسخة فقط !

لقد احدث هذا التدني في الصحافة النازية فضيحة كبرى ، استغلها الدكتور غوبلز ، فقصد مقر « الزعيم » ليجس نبضه .

ثورة هتلر !

كان هتلر يعلم علم اليقين بان الدكتور غوبلز هو اقوى دعامة للحزب النازي في الداخل والخارج .. فدعايتـه المنظمة السرية والعلنيـــة كانت المؤثر الاول على نفسية القراء قراء الصحف ، والملايين من هواة الاذاعة من خصوم ومؤيدين ..

ولكن هتلر كان في اكثر الاحيان ينساق بحـــكم عاطفته وحساسيته الى اقرار ما تعرضه عليه الجبهات الاربع المتنافسة على الحكم والسلطان ضمن نطاق دائرة الحزب النازي .. فيقـــع في اخطاء ما كان يحاول اصلاحها الا عندما يأتيه « المذنب الصحيح » او المفتري عليه يطلب اليه الصفح والغفران .. فيعفو عنه بدون مناقشة .. بل يصدر الزعيم امراً جديداً ينسخ به الامر القديم !

كان غوبلز يعرف في هتلر نواحي ضعفه هذه : ولقد ساعدته هذه المعرفة وهو من قدامى رجال مونيخ في الحزب النازي ، على اصابة اهدافه بعد ان ظن خصومه الكثار بانهم قد حطموه وانتزعوا منه سلطانه ، او حددوا نشاطه ..

ولما دخل غوبلز على هتـلر كان « الفوهرر » يزمجر من شدة

الغيظ والحنق ويصب اللعنات على رأس ديتريش رئيس صحافة الرايخ الذي كان يرتجف امام - الزعيم - كريشة في مهب الريح !
قال هتلر وهو يحيي غوبلز بصرخة مدوية :
- ما هذه الفضيحة ؟ لقد لوثتم اسم الحزب بالعار والشنار كيف تسمح لهؤلاء الاطفال ان يوصلوا صحافتي الى هذه الحالة المزرية ، انني اريد منك ان تشرف بنفسك منذ الآن فصاعداً على صحافة الرايخ ! هل فهمت يا هرمنيستو ؟ » اي ايها السيد الوزير .. يقولها هتلر عندما يكون ثائراً دائماً .. » انني اريد منك جريدة جديدة محترمة !! هايل هتلر !!

داس رايش !

ان الصحافة يجب ان تكون حرة . وان تعطى الافق الحر الذي يستطيع المحرر ان يصول فيه ويجول ، فاذا كان المحرر محاطاً بأسلاك شائكة تقيده وتحد من حريته كما فعل الدكتور ديتريش رئيس صحافة الرايخ مع رجال الصحافة الالمانيين والاجانب فان من الطبيعي ان تتدنى الصحافة لان القراء لا يريدون قراءة آراء جامدة متعصبة تقوم على العصبية الجنسية وعلى المباديء النازية العنيفة كما املاها الدكتور اوتوديتريش مدة من الزمن على رجال الصحافة فجعلهم اسرى تفكيره وتوجيهه ! .

اما الدكتور غوبلز فكان يعمل بدعايته على اساس الحرية المطلقة للصحافة ، ولكنه كان يوجه رجال الصحافة توجيهاً ناعماً مبطناً فهو لا يصدر توجيهاته الى ارباب الصحف والمحررين اوامر صارمة كالتي كان عليها ديتريش .. بل يلف الصحفيين

ويديرو معطياً لهم حرية الاختيار في الكتابة في المواضيع التي يرونها مناسبة، ولكن ضمن الدائرة التي اشار اليها غوبلز بتنويه عابر غير مقصود ! او بطرف خفي !

وفي ٢٦ مايس ١٩٤٠ اصدر الدكتور غوبلز جريدته الثانية بعد « دير انغريف » وهي جريدة « داس رايش » الرايخ الالماني .. أي الدولة !

ألم تكن وزارة الدعاية وعلى رأسها غوبلز هي دولة في دولة ؛ فلماذا لا يرفع الستار عن نفسه فيسمي لسان حاله « داس رايش » الدولة !

وهكذا مر غوبلز على جثث فون وبينتروب وديتريش وهملر ، وصار كرة ثانية يقف وهو الاقوى على رأس جبهته بين الاقسام الاربعة المتنافسة ضمن نطاق الحزب النازي ..

وبالفعل فأن صحافة الرايخ استعادت جل ما فقدته من سمعة ومكانة بعد عودة الدكتور غوبلز الى سالف عهده بالتوجيه والارشاد !

الزعامة الجماعية !

ان النظام الذي وضعه الحزب النازي للدولة هو نظام مستمد من المشروع الذي كتبه ورسم خطوطه هتلر ، فلا هو ديموقراطي ولا هو شيوعي اشتراكي وليس هو بالنظام « الميتافيزيكي » الذي يسلم قوى الدولة الى قوة غير منظورة يعجز الفرد المجرد عن ادراك كنهها ومعرفة حقيقتها !!

لقد وصلت بدراستي الطويلة لنظام الحزب الواحد في دولة الرايخ الى ان الفرد الالماني يميل بطبيعة نفسه ونزعته العنصرية

الاقليمية الجرمانية الى الاخذ بالحكم « الميثولوجي » الاسطوري الذي « يؤله الرجال ! » ويجعل منهم « زعماء جماعيين » يرضون غرورهم وينقادون وراءهم بدون ارادة يهتفون بحياتهم ويصفقون لاقوالهم هكذا رجماً بالغيب !

ان اعتداد الفرد الالماني بقبول «السلطة العليا» والزعامة المطلقة ناتجة عن تمسكه بالافق العنصري الذي يجعله لا يرى بعده شيئاً كما يقول العربي « انه ليس وراء عبادان من قرية !! »

فهو في هذا التفكير وفي هذه النزعة كالعربي العشائري الذي انطوى على نفسه ، واكتفى بما حفظه من تقاليد قبيلته وامجادها السالفة ... وحاضرها القوي الذي يخيف ويروع ويثير ويرهب !!

ومن اجل ذلك رأينا هتلر يستغل الغرور القومي الجرماني ليركز ببراعة قواه على دعم « زعامته الجماعيـــة » ليظهر بمظهر « ظل الله على الارض » يحكم بأسمه ، وتصير اوامره ونواهيه شريعة سماوية !!

النازية والجيش

لقد كان الحزب النازي ينظر الى الجيش الالمـــاني وريث العهد القيصري بما فيه من القادة البروسيين العقلاء وجبابرة الحروب وأساتذة الستراتيجية من تعبئة وسوق جيوش وحسن تنظيم جيوش الاحتياط وتموين الجيوش ، نظرة المستريب باخلاصه وبحسن نياته نحو الرايخ الثالث ..

وفي الواقع فان الحزب النازي كان على حق في هذه النظرة ذلك لان الجبهة العسكرية التي اشتركت مع هتلر في الحكم ، وقبلت وانفها راغم مساندته في خوض غمار الحرب وتأييده

في الجبهة الغربية تاييداً مطلقاً لا غبار عليـــه .. وقد عادت ادواجها فاستردت الثقة من هتلر بعد ما قرر الهجوم على روسيا . . فلقد كان اولئك القادة الالمانيين بجموعهم ضد التحرش بروسيا ، كما سبق ان وصفنا موقف الجنرال فون براوخيتش من هتلر يوم ان قرر اجتياح روسيا ونكث عهد عدم الاعتداء وحسن الجوار !!

اما القادة الذين سايروا هتلر الى النهاية فكانوا مرغمين .. وكانوا يعتقدون بأنهم ان ابتعدوا عن هتلر بعد زحفه على روسيا فأنهم يضرون مصلحة المانيا العليا ضرراً بالغاً قد يؤدي بهـا الى الدمار والفناء والابدي ، ولذلك اصروا وهم على عـــلم بخطأ وجهة نظرهم هذه على السير وراء هتلر والعمل بكل جهد لانقاذ ما يمكن انقاذه !!

فلسفة القوة

ان انعدام وجود صفوة شعبية على رأس الحكم النـــازي « الاوتوقراطي » قد جعل روح الثورة التي اندفع فيها الشعب الالماني في خلال اول عهد هتلر بمعركة برلين تخمد فيما بعد تسلمه الحكم .. ولم تعد فورة الحماس الوطني الى سابق مجدها الا بعد تحقيق هتلر « الانشلوس » مع النمسا متخطياً تمزيق معاهدة فرساي وضم السار الى المانيا وتطهير الروهر من قوات الحلفاء .. واحتلال تشيكوسلوفاكيا .. والوقوف على اسوار مونيخ يهدد من فوقها بريطانيا وحليفاتها بحرب لن تبق ولن تذر !!

لقد كان الشعب الالماني يقاد من ارنبة انفه وراء سياسة هتلر القائمة على اساس استصغار الدول والتقليل من شأنها ودليلة على ذلك انصياع هاتيك الدول لما حققه « الفوهرر » لالمانيـــا من

انتصارات بينة وفتوحات مروعة ، وتحد صريح واضح للقوى الدولية التي استهجنت اعمال هتلر وفلسفته السياسية !

وماذا يضير هتلر وهو يرى ان فلسفته هذه تقابل بالرضى والاستسلام .. ويرى الساسة الدوليين يسلمون وهم صاغرين بنتائج هذه الفلسفة وليس فيهم من يستطيع ان يقول له ماذا تفعل ؟

حكم ارادي ارتجالي !

بقينا ان هتلر كان يريد الخير لالمانيا ، وكان يريد الوئـام والصلح مع بريطانيا .. وكان ينوي بعقيدة وايمان التعاون معها لابقاء العنصر «البريطاني السكوني» سائدا في اوروبا وفي العالم ! ولكن المستر تشرشل ثعلب البرلمانات العتيق رفض بإباء وشمم عروض هتلر المتكررة للصلح ! بحجة ان سياسة هتلر الاوتوقراطية الشوفانية الفردية المتركزة على الحكم الارادي الارتجـالي المستمد من التو واللحظة لايمكن الاستناد اليها والوثوق بها في حلبة السياسة الدولية !!

نعم ان هتلر كان يتمسك بقدسية النام النظازي الذي هو من بنات افكاره ..وكان شخصيا نزيها في حكمه ، ولكن استبداده بالرأي ، وعناده في تنفيذ رغباته وارادته بدون «رتوش» او تحوير جعلت المدنيين والعسكريين المنفذين لاوامره الارتجالية يقفون حيارى وهم لايتقدمون خطوة ولا يتأخرون .. فالقضية ليست قضية يرتضيها الغير لمجرد رضى هتلر عنها ، ولكنها قضية لها مساس بالمصالح الدولية التي تقرر بالنظر للفائدة المتوخاة حاضرا او مستقبلا ..

واذا علمنا بان الدول الديموقراطية الزاقفة لهتلر بالمرصاد تسفه

الحكم الفردي «الديكتاتوري» البلو توقراطي او الاوتوقراطي ناهيك عن الحكم الشوفيني القائم على الخداع والختل والتدليس ! لقد كنا نعيش في بلاد الرايخ الثالث حيث لا وجود لحكم ديموقراطي ولا حكم اشتراكي وطني بالمعنى الصحيح ! بل كنا نعيش تحت حماية حكم ارادي ارتجالي مستمدة قوانينه من التو واللحظة !!

وهكذا صارت ارادة هتلر هي القول الفصل .. ولا رادلها ولا مناقش !..

مركب النقص !

ان هتلر باعتباره نمساوي الاصل يشعر في قرارة نفسه «بمركب نقص» فاضح في تصرفاته ومظاهره . فلقد كان يريد ان يتظاهر بأنه اكثر المانية من الالمانيين !! وبأنه يفوق «اليونكرز» فرسان بروسيا واشرافها في وطنيته وفي اهدافه .. ومن اجل ذلك كان يعلن بصراحة وبيقين بانه يؤمن بالقومية الجرمانية كأمة ممتازة يجب ان تكون في طليعة الرعيل الاول من البشر .. بل فوق الجميع !!

ان وحدة المصير قد لعبت دورها في نزعة هتلر القومية .. ولكنه بدلا من ان يركز جهوده على المستوى العالمي ، ركزها على المستوى القومي الالماني الاقليمي ، فكان حصاده انتكاسة دولية صارت ضده .. لا اليه !!

وصار مركب النقص مجدوبه الى ان يعتبر المبادىء المخالفة للتعاليم النازية مبادىء تباعد بين الرايخ الثالث والامم ، وتناهض وحدة المصير الانساني حسب اجتهاد هتلر ، ونقمته على

الناقمين عليه جماعات وافراد !! .. فتصور بان المانية قادرة على العيش بمعزل عن هذه الامم ، تستطيع ان تشق طريقها وحدها، الى الامام تاركة ورائها ارتال البشرية تنظر الى تقدمها خاسئة وهي حسيرة ..

نظام الحكم النازي !

لقد كان هم جل هذه الفئات الاربع المتناحرة على كراسي الحكم والسلطان حول هتلر وزعامته المطلقة هو البقاء والاستمرار في الحكم وتطبيق نظام غريب من انظمة الحكم الذي كان نتيجة طبيعية للتقلبات السياسية الكثيرة والتغييرات المتواصلة في سياسة الحزب النازي تلك التغييرات المفاجئة التي ولدتها عوامل يومية كان لها اثرها الفعال بعقلية الفئات الاربع من رجال الطبقة الحاكمة من رجال الحزب !

ان النظام الحكومي في الرايخ الثالث قد خرج عن مبادىء الاشتراكية الوطنية القائمة على كواهل العمال كما كان هتلر يدعو ويبشر بها قبل تسلمه مقاليد الحكم .. وصار الحكم النازي نوعاً جديداً من انظمة الحكم .. فلا هو حكم « اوليغارشي » حكم الطبقة المتوسطة الموسرة ، ولا هو حكم « بورجوازي » الطبقة المتوسطة ! ولم يعد نظاماً اوتوقراطيا فردياً بالمعنى الصحيح !

نعم ان هتلر هو الحاكم المستبد المطلق ، والحاكم بأمره .. ولكن هتلر منذ ان اجتاح بولندا انقلب من حاكم يسوس الدولة الى قائد عسكري يدير اجهزة الحرب الضخمة ، ولم يعد وقته ليسمح له بالانصراف الى الاهتمام بسياسة الدولة داخليا وخارجياً !

ملوك طوائف

لقد ولدت هذه الحالة نظاما جديداً في انظمة الحكم النازي الذي حكم المانيا زهاء ١٣ عاماً هو نظام يقرب من انظمة ملوك الطوائف العرب الذين حكموا في اسبانيا في اواخر عهد العرب في اوروبا الجنوبية الغربية ، فلقد كانوا لوفرة عددهم يحكمون حكما متناقضاً لا تجانس فيه ولا تعاون .. وراح كل واحد منهم يحكم في اقليمه حكماً ارتجالياً مستمداً من الحاجة اليومية التي تمليها الظروف ! وتبعاً لما يراه الحاكم مناسباً للعمل !

وهكذا فان ملوك الطوائف النازيين حكم كل واحد منهم وزارته أو منظمته حسب ميوله وعناده واغراضه .. ومع ان الشبه بين حكم ملوك الطوائف وبين حكم قادة النازية يبدو بارزا واضح المعالم فان هناك فرقاً بين الاثنين ، فملوك طوائف النازية يحكمون بأمرهم ، ولكن باسم هتلر !

في حين ان ملوك الطوائف العرب يحكمون باسماء انفسهم ولم تكن هناك سلطة عليا تهيمن عليهم فيحكمون باسمها !

وكان هتلر يتجاوب مع قادة حزبه فيما لو رضي عنهم « شخصياً » فيزيد من سلطانهم ويقوي نفوذهم بترك حبلهم ملقى على غاربهم يسرحون في الحكم ، ويمرحون في نظامه الى ان جعلوه حكماً لا لون له ..

اليوم العبوس

بمثل هذا الحكم عاشت المانيا السنوات الخمس الاخيرة وهي تنوء تحت ثقل نظام حكم ملوك الطوائف النازية ، ولم ينقذها من

ذلك النوع المخيف من الحكم الا انهيار اجهزة الحرب النازية كلها دفعة واحدة وفي يوم واحد هو يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥ ذلك اليوم العبوس القمطرير الذي قرر فيه « الفوهرر » استحالة كسب النصر ، واعترف وهو موقن بـالنصر حتى اللحظة الاخيرة .. بانه قد خسر الحرب نهائياً !

***

دور المرأة في الحركة النازيه

لقد لعبت المرأة الالمانية ادوارا خطيرة رئيسية في الحركة النازية والدعوة لها وادخالها في البيوت وفي دور الازياء التي كانت معاقل يعتد بها في الحركات الحزبية حيث تكثر الفتيات العاملات ، وحيث ترتادها الطبقات البورجوازيـة والمتوسطة الموسرة والطبقات الارستقراطية ، وكذلك في المطاعم والمقاهي والبارات والمقاصف والمراقص ودور اللهو التي يؤلف الخدم بها ٨٠ بالمئة من الفتيات والنساء ..

وفي الحقيقة فان دور المرأة في امركة النازية لم يظهر واضحا الا في برلين اولاً .. وابتداء من سنة ١٩٣٠ . اما قبل ذلك التاريخ فان الحركة النازية التي كان يديرها اقطاب « مونيخ » وعلى رأسهم « الزعيم » هتلر لم تكن تعتمد الا على سواعد الشباب المتلريين وعلى الرجال وحدهم !

ولكن الدكتور غوبلز عرف وهو « زير نساء » كما اسلفنا كيف يستغل هذه الناحية الخطيرة من نواحي الضعف في الرجال في المانيا عامة وفي برلين خاصة ، فقام منذ ان تعرف بزوجته ماجدة في برلين باتخاذ قرار جديـد اسره في نفسه وراح يعمل

على تنفيذه .

تم زواج غوبلز بالسيدة ماجدة في سنة ١٩٣١ ، وكانت مطلقة منذ سنة ١٩٢٩ وهي سيدة ثرية مرحة تحب اقامة الحفلات الليلية الساهرة الصاخبة، وكان غوبلز بالرغم عن مشاغله السياسية المتزاحمة من سمار الليل وقوامه يحب الرقص والموسيقى ، ولم تك رجله العرجاء لتحول دون اجادته الرقص !

غوبلز وماجدة !

كان غوبلز فقيراً عندما تزوج ماجدة ، اذ ان راتبه كمحافظ برلين « غاولايتر » ٤٠٠ ماركاً ، يضاف اليه راتبه من النيابة ٥٠٠ ماركاً وهو مبلغ ضئيل يوازي ٨٥ جنيهاً لا يكفي الا لشخص واحد يحيا حياة هادئة في برلين الصاخبة..

ومن اجل ذلك شجع غوبلز زوجته على الاستمرار في دعوة سيدات المجتمع البرليني اللواتي كن من صديقات ماجدة .. ولم يخف غوبلز عن زوجته اسباب هذه الدعوة ، بل شرح لها الاسباب بصراحة صارمة ما كانت لتتحمل وقعها امرأة اخرى غير ماجدة التي كانت الى قبل يومين من زواجها بغوبلز امرأة طروب وارملة مرحة لم يحدث ان عصى نظراتها الفاتنة المغرية انسان مكتمل الرجولة !

لم تكن ماجدة غوبلز من النساء اللواتي تعشقن مبادىء هتلر ، او أغرمن بالحركة النازية ،ولكن شهرة غوبلز كخطيب مفوه، ومناضل نازي جريء ، تحدى لوحده الحكومة والاحزاب ، وفي طليعتها الحزب الشيوعي الذي كان اقوى حزب في برلين والمانيا على الاطلاق حملتها على التمسك به .

لقد أثار غوبلز في نفس ماجدة عوامل الفضول وحب الاطلاع على حقيقة هذا الرجل القصير النحيف الاعرج الذي يخيف الرجال، كانت ماجدة تريد بدافع غريزتها النسائية لا بدافـــع الحب او الغرام ان تستحوذ على غوبلز الرجل الثائر المثير، بل لقد نوت ان تسيطر عليه وتربطه بمستقبلها !

امرأة عجيبة !

كانت ماجدة غوبلز، امرأة مرهفة الاحساس، ذكية، كيسة وفضلا عن ذلك فكانت سيدة (صالون) من الطراز الممتاز .. أضف الى ذلك جمال مصقول بالذوق الجميل في اختيار الملابس الملائمة لجسمها وملامحها المغرية !

ولعل خير دليل على صحة ما نقول انها استحوذت على لب هتلر وبهرته في اللحظة الاولى التي تعرف فيها عليها، ومن اجل ذلك صار هتلر (غلام الشرف) لماجدة ساعة ان تم عقد قران غوبلز عليها وهذا شرف عظيم لم يوليه هتلر لاحد من رجاله ... الا لرجلين اثنين : مارتن بورمان، وجوزيف غوبلز .

لقد حسبت ماجدة يوم ان عرض عليها غوبلز ان تتزوجه حساب الربح والخسارة . في وقت كانت فيه هي غنية موسرة تستطيع باشارة من اصبعها ان تجعل اكبر رجل « اعزب » في برلين يركع امامها ويرتمي على قدميها !!

ولكن امرأة كماجـــدة خبرت الرجال كانت تنظر الى المستقبل.. وهو ذا أمامها رجل وضع رجله على اول درجة من سلم المجد ! نعم لقد كان غوبلز فقيراً، ولكنها هي غنية تستطيع ببعض ما لديها من ثروة ومال ان تدفع بزوجها الى القمـة وعلى

اكتاف نساء برلين الجميلات الموسرات !

ولم لا ؟

ومن من النساء لا تريد ان ترى زوجها يقف في قمة المجد لتتخذ الى جانبه فوق هذه القمة مكاناً تحسد عليه، وتصبح من السيدات التي يشار اليهن بالبنان ... بل وباليد بطولها !!

الاغراء يلعب دوره !

فتحت ماجدة باب دارها الجميل في ضاحيــة « بابلسبوغ » برج بابل .. الواقعة على مقربة من مدينـة بوتسدام المقر المفضل لقياصرة المانيا التي تماثل مدينة فرساي في ايام ملوك فرنسا !

وراحت تدعو مرة في كل اسبوع نساء المجتمع البرليني .. وبعد ان كان غوبلز يبشر بالدعوة النازية بين الرجال نهاراً .. صار يضفي على احاديثه مع النساء المغريات عن النازية .. وعن رجولة « الفوهرر » والقادة النازيين هالات من المجــد بأسلوبه الشيق السهل الممتنع !

ولم تنته سنة ١٩٣١ الا وصارت كل ليالي الاسبوع حفلات ساهرة صاخبة ، ولكن ليس في دار ماجدة بل في دور صويحباتها اللواتي اصبحن صاحبات لغوبلز ! وصديقات له يدعونه مع ماجدة وبدون ماجدة ... وفي الغالب نكاية بماجدة !.. وماجــدة تعرف هذا كله . وهي لا تعترض ولا تريد ان تعترض !

ولكن علام الاعتراض ؟ الم يقل لها قبل أن يتزوجها انها يمكن ان تنتظر منه كل شيء الا الاخلاص !

ولماذا هذا الاخلاص .. اذا كانت هي بدورها قد وجدت بين الزعماء النازيين .. وقادة الجيش ورؤساء الشبـاب الهتلري

وجالا يقول أقلهم جمالا وفتوة لزوجها غوبلز : هيا الى الباب !

من مونيخ الى برلين !

لو لم تكن ماجدة زوجة غوبلز امرأة ذكية وبعيدة نظر لما اقدمت على عقد صفقة الزواج مع غوبلز اقول (صفقة) زواج على المستوى التجاري ، ولا على المستوى العائلي ! فماجدة ليست من النساء اللوابي يستسلمن للرجل لمجرد كون هذا الرجل قد وقع معها عقد زواج هو بالنسبة اليها اتفه من عقد استئجار في نزل عائلي « بنسيون » !

نعم ان غوبلز احبها وتدله بهذا الحب ، ولكنها كانت تعلم علم اليقين بان حب غوبلز لها لم يكن كحب فقير معدم لأكلة دسمة يشتهيها بنهم وتحرق لانه لا يستطيع دفع ثمنها ... ولكنه عندما يتمكن من اكلها بأية وسيلة كانت فهو يطلب المزيد منها .. بل التنوع في الاكلات ... فهو اي غوبلز من الرجال (الموائيين) الذين لايصبرون على اكلة واحدة او طعام واحد !

ان ماجدة بزواجها بغوبلز قد امسكت بيدهـــا على اعنة ومقاليد الحركة النازية ، خاصة بعد ان انتقلت الحركة من مونيخ الى برلين .. فلقد كانت الحركة في مونيخ تتعثر في سيرها بالسلطات العليا في برلين .. ولكن الافق الواسع الذي فتحه الدكتور غوبلز لهذه الحركة في برلين بزواجه بماجدة الجميلة الموسرة صاحبة الحول والطول في الاوساط المالية والبورصة والارستقراطية قد جعلها تنطلق من عقالها وتزيل هاتيك العثرات من طريقها ليقف (الزعيم) هتلر امام الفيلد مارشال هندنبورغ ينافسه في منصب مستشارية الرايخ وجهاً لوجه !

ماجدة وايفا براون !

ان الذين سجلوا وقائع الحزب النازي وتاريخ هذه الحركة الجبارة ابان انتقالها من مونيخ عاصمة بافاريا الى برلين عاصمة المانيا قد اكتفوا في بحث التاريخ السطحي لهذه الحركة بالنسبة لتواتر المعلومات المهلهلة التي استقوها من مصادر تجارية ساعدتهم على نشر ما كان يتداوله رجل الشارع من معلومـــات جمعت من هنا وهناك على جناح السرعة ليتسنى للكاتب ان ينشر بحثه عن الحركة النازية وقادتها وعلى رأسهم هتلر بأساليب سخيفة وبعناوين مثيرة لمجرد كسب ثمن بخس دراهم معدودات .. فلقد سلطوا أقلامهم على كتابة اساطير وخرافات لا اساس لها من الصحة عن (هتلر وحبه لايفا براون) وراحوا يغدقون على ايفا براون من الالقاب والصفات التي قربتها من صفات (فينوس) والالهة!!

في حين ان هذه الفتاة (المصورة) القروية الساذجـــة التي تعرف اليها هتلر معرفة تامة في سنة ١٩٣٤ اي بعد ثلاثة أعوام من تعرفه على ماجدة زوجة غوبلز لم تكن قد اخذت من قلب هتلر الا ماتأخذه لوحة جميلة من الاعجاب في قاعة استقبال ضخمة ..

اما ماجدة فلقد كانت قد احتلت مقام الصـدارة في قلب هتلر منذ اول يوم توليه الزعامة في برلين التي فتح ابوابهـــا له غوبلز زوجها الذي كانت ماجدة ساعده الايمن في هذا الفتح وذلك الانتصار !!

ان الذين رفعوا من شأن ايفا براون وكتبوا حول علاقتها بهتلر القصص والحكايات السخيفة قد تعمدوا اظهار هتلر بمظهر الخانع المستسلم لشهواته ومباذله الى درجة ان فتاة قروية ساذجة

د استحوذت على لبه ، وأكرهته على ان ينزل من علياء مجده الى حضيض مستواها !!

لقد ألحت الدعاية اليهودية العالمية على تصوير ايفا براون بصورة تفوق شهرة ألمع نجوم سينما هوليوود ليس لانها جميلة بارعة في الذكاء او مكتملة الاناقة ... بل لانها من طينتهم !. ومن بني قومهم ، فاليهود حتى في تفسخهم الجنسي يفتخرون بان احدى بناتهم قد استهوت هتلر وصارت احدى خليلاته !!

تعمدت الدعاية اليهودية اغفال ذكر ماجدة غوبلز، لان هذه السيدة الالمانية كقرينتها (غيردا) زوجة نائب (الزعيم) هتلر مارتن بورمان ، كانت تحتقر اليهود ولا تذكرهم الا بكل سوء ولا تصفهم الا بكل ما يشين النوع الانساني والميزة البشرية ..

فالقياس بين ماجدة زوجة غوبلز التي استحقت احترام هتلر واكباره مع حبه .. وبين ايفا براون مصورته واحدى محظياته ما هو الا قياس مع الفارق !

سيدة النازية الاولى

كانت ماجدة غوبلز السيدة النازية المثقفة التي تعرف كيف تقيم الحفلات والمآدب التي تستهوي الرجال . وتجعل قادة الحزب يلبون مطالبها الكثيرة التي لا نهاية لها .. وكانت الى جانب ذلك تعرف مواطن ضعف الرجل الالماني النازي امام الجمال والخمر ! ومن اجل ذلك كانت الليالي الملاح التي تهيؤها لهتلر وصحبه مثار الاعجاب والتقدير من الطرفين ، الرجال لانهم يجدون ضالتهم المنشودة من النساء الجميلات الانيقات المغريات ، والنساء يتناولن ما يحلو لهن من هذه المجموعة النادرة

من قادة النازية من هتلر فنازلا .. ومن الدكتور لاي السكير النازي الاكبر فصاعداً !

ان حفلات ماجدة الساهرة التي بدأت منذ مطلع سنة ١٩٣٢ قد تطورت بمرور الزمن بعد تسلم هتلر الحكم ، فبعد ان كانت حفلات تسودها الصبغة الرسمية وتميزها المظاهر الجدية .. صارت حفلاتها الليلية الساهرة ، حفلات صاخبة حمراء ، جعلت من ماجدة سيدة النازية الاولى !

هتلر وماجدة

لم يكن هتلر متزوجاً ، ولم يكن غرامه بايفا براون من النوع الجارف الاخاذ .. فايفا براون لم تكن الا واحدة من عشيقات هتلر الكثيرات اللواتي تعلق بهن لمدد معينة من الزمن في حين ان غرامه بماجدة كان غراماً من الممكن ان نسميه غراماً (رسمياً) ! لقد كان على هتلر ان يظهر في الحفلات والمآدب صحبة سيدة ! ولم تكن هذه السيدة الا ماجدة زوجة الدكتور غوبلز يتأبط ذراعها ويفتتح الحفلات ويستقبل ويودع الى جانبها .

ان ماجدة كانت تبادل هتلر حبه وهيامه .. وكانت تصرح دائماً بانها اسعد امرأة في المانيا فهي تستطيع ان تعاشر اي رجل يعجبها بعد هتلر حبيبها الاول ، وغوبلز زوجها الثاني !

وبالرغم عن معرفة هتلر بمغامرات ماجدة الغرامية ، وتقلبها بين احضان الرجال فلقد كان يحترمها وهو يقول مردداً : حقاً ان ماجدة امرأة قديرة ماهرة في اصطياد الرجال ! انها اقدر من زوجها غوبلز في اصطياد النساء ! ان غوبلز يستهوي النساء بنفوذه وامواله ! اما ماجدة زوجته فهي تستهويهم بغنجها

ودلالها وسحر عينيها ، وبقوامها المشوق !

ان اقوى رجل في الرايخ لا يستطيع ان يقاوم سلطان ماجدة المغري ..

هتلر والنساء

كان هتلر اقل حظاً من قادة النازية في مغامراته الغرامية ، لا تعففاً منه ، بل لضيق وقته من كثرة العمل .. ومع ذلك فانه استطاع ان يحيط نفسه بمجموعات من الحسان !.

وكانت ماجدة غوبلز تسعى بكل ما لديها من خبرة في النساء وفي فنون الغرام ، ان تأتي له بصنف جديد من السيدات اللواتي كن يتهالكن لمجرد القاء نظرة واحدة على هتلر ، فكيف بالجلوس معه .. والتحدث اليه ومبادلته الغرام !

وبالرغم عن كياسة هتلر وبراعته في معاشرة النساء بصورة مثيرة .. فهو يمل بسرعة من تكرار معاشرة امرأة واحدة !

وقد قال ذات مرة للمريشال غورينغ : كيف يمكن للرجل ان يأكل في كل يوم طبقاً من البطاطا المسلوقة ويكرر اكل هذه البطاطا كل أيام حياته ؟

وهتلر يعني بالبطاطا المسلوقة (الزوجة) التي تقضي شرعة الزواج الديني بمعاشرتها مدى الحياة !

راي هتلر بالزواج !

كان هتلر اول من انتقد الزاوج الديني .. فمن رأيه انه لا يجوز اطلاقا فرض امرأة على رجل وبالعكس لمجرد ان رابطة «دينية» قد ربطتهما بعضهما ببعض !! فهو يقول ان نظرية ـ من يجمعهما الله لا يفرقهما انسان ـ نظرية تقوم على الخوف .. وعدم

وجود ثقة متبادلة بين الرجل والمرأة وبالعكس ، فالزواج في نظر هتلر صفقة تعايش تقوم على اساس التفاهم بين رجل وامرأة .. فاذا استمر التفاهم دام الزواج ، واذا اعترى التفاهم سوءاً فان صفقة الزواج تكون بطبيعة الحال باطلة ، ولا يمكن لاية قوة على وجه الارض ان تفرض على زوجين متنافرين غـــير متجانسين البقاء تحت سقف واحد !

هذا راي هتلر في الزواج وفي الطلاق ، وهو راي ايده قادة النازية ، وبشر به الهر مارتن بورمان نائب «الزعيم» هتلر رسميا وبصراحة تامة !

نواصل مذكرات هنا برلين حي العرب
بالحلقة الخامسة

يونس بحري

| جميع المراسلات بأسم المؤلف وبالعنوان ادناه . |

بيروت ـ ساحة رياض الصلح
بناية غراوي
مكتب رقم ٨٠

| الاشتراك السنوي في دنيا العرب عشر ليرات لبنانية او ما يعادلها |

ايها المواطن الكريم

ساهم في مساعدة الجزائر بشراء كتاب :

بابتياعك نسخة من هذا الكتاب . يبتاع جيش التحرير رصاصة لقتل أعداء العروبة

إقرأ ـ الطبعة الثانية للجزء الاول من سلسلة

يتناول المؤلف وصف مصرع الملك غازي الاول وتأسيس الاذاعة في برلين. فبادر الى اقتنائه من جميع المكتبات اليوم قبل نفاده .

اذا فاتك ان تقرا الجزء الثاني من سلسلة

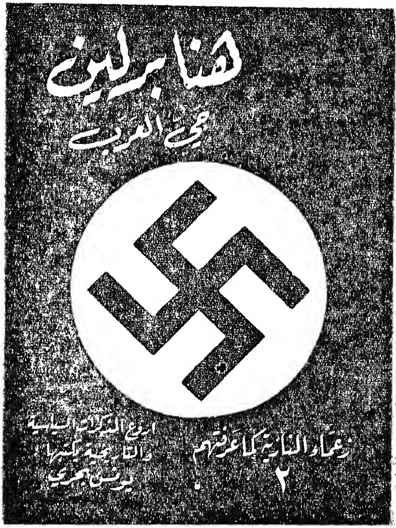

الذي يتناول تحليلاً شاملاً عن حياة هتلر ومعشوقته ايفابراون

اذا فاتك ان تطلع على اسرار سيطرة اليهود المجرمين على البلاشفة !!

فبادر الى اقتناء الحلقة الثالثة من سلسلة

«HONA BERLIN HAY EL - ARAB»
Translation & Reproduction
Only By Agreement
Copyright by YOUNIS BAHRI
Gharawi Building Riad Sulh Place
BEIRUT - LEBANON

حقوق الطبع والنشر واعادته محفوظة للمؤلف
يونس بحري

مطبعة الجهاد - بيروت تلفون ٣٣٥٤٢

هنا برلين . حي العرب !

اروع المذكرات السياسية والتاريخيـــة . . .
بقلم الكاتب السياسي العربي الاشهر : يونس بحري

- ماذا ستقرأ في الكتاب الخامس المنتظر !
- هتلر ونحن !!
- رجال الطليعة العرب في برلين .
- من هم رجال اذاعة برلين العربية !
- كيف صار شعارنا « حي العرب » ؟
- لماذا قلنا : بلاد العرب للعرب ؟
- تراجم الشخصيات العربية في المانيا . .
- قصص سياسية عربية في برلين !
- كيف اتصل الزعيم انطون سعادة بهتلر ؟
- الحزب القومي السوري والمانيا !!
- كيف حاول علي ماهر الاتصال بهتلر !
- الامير شكيب ارسلان واستقلال العرب .
- التصريح الرسمي الالماني لحفظ استقلال مصر
- في الكتاب القادم السادس تقرأ :

« الكيلاني والمفتي . خليفة المسلمين . . ورئيـ

هنا برلين – حي العرب – يونـ

حقوق الطبع والترجمة والنشر واعادة الطبع محفو

« يونس

ثمن العدد ١٠٠ غ ل . او مايعادلها

Bibliotheca Alexandrina
0355438
86
19